

# الحدار الأخيرة

(١٥)

علامات الساعة الصغرى

التي ظهرت ولا زالت تتابع

الشيخ/ ندا أبو أحمد



## الدَّارُ الْآخِرَةُ

### علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتتابع

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١، ٧٠)

**أما بعد....**

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

## ثانياً: العلامات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتابع

١. ظهور الفتن.
٢. تَمَنُّ الموت من كثرة الفتن آخر الزمان.
٣. تقارب الزمان.
٤. خروج أدعياء النبوة .
٥. أن تلد الأمة ربتها.
٦. تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان .
٧. وقوع التناكر بين الناس.
٨. التسليم على الخاصة.
٩. فشو التجارة ومشاركة المرأة زوجها في التجارة.
١٠. تقارب الأسواق.
١١. ضياع الأمانة ورفعها من القلوب.
١٢. تخوين الأمين واختلال الموازين.
١٣. إمارة السفهاء.
١٤. ظهور أعوان الحُكَّام الظلمة.
١٥. أن يتكلم السفیه في أمر العامة.
١٦. ارتفاع الأراذل والسفهاء.
١٧. هلاك الوعول وظهور التحوت.
١٨. الخضاب بالسواد.
١٩. كثرة النساء وقلة الرجال.
٢٠. كثرة الروم وقلة العرب.
٢١. كثرة القراء وقلة الفقهاء والعلماء.
٢٢. أخذ الأجرة على قراءة القرآن.
٢٣. اتباع سنن الكافرين.
٢٤. أن يأكل القوي الضعيف.
٢٥. تداعي الأمم على الأمة الإسلامية.
٢٦. الرؤية الصادقة للمؤمن.
٢٧. زخرفة البيوت وتزيينها.
٢٨. ارتفاع مباني مكة.
٢٩. زخرفة المساجد والتباهي بها.
٣٠. اتخاذ المساجد طرقاً.
٣١. كثرة الزلازل.
٣٢. كثرة موت الفجأة.
٣٣. كثرة الشرك وانتشاره.
٣٤. ترك الحكم بما أنزل الله.
٣٥. كثرة القتل.
٣٦. انتشار الزنا وكثرته.
٣٧. استحلال الخمر.
٣٨. استحلال المعازف.
٣٩. انتشار الربا وأكل الحرام.
٤٠. شهادة الزور وكتمان شهادة الحق.
٤١. كثرة الكذب وإشاعته.
٤٢. كثرة الشحّ والبخل.
٤٣. ظهور قطيعة الأرحام.
٤٤. ظهور الفحش والتفاحش.
٤٥. ظهور الكاسيات العاريات.
٤٦. ظهور الرواحل الجديدة كالسيارات وغيرها.
٤٧. كثرة السَّمَن في الناس وظهور قوم يشهدون ولا يستشهدون.
٤٨. رفع العلم وقلته وظهور الجهل وكثرته.
٤٩. التماس العلم عند الأصاغر.
٥٠. ذهاب أهل الخير والدين.
٥١. كثرة القول وترك العمل.
٥٢. ظهور القلم.
٥٣. انتشار الكتب غير القرآن.

## ثانياً: الأمارات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتتابع

وهي العلامات التي وقعت ولا زالت مستمرة، أو وقعت مرة، ويمكن أن يتكرر وقوعها، ومنها: -

### ١ - ظهور الفتن:

وقد بين النبي ﷺ أن ظهور الفتن وكثرتها من أشرار الساعة

- فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يُقْبَضَ العلمُ، وتكثر الزلازلُ، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج: القتل القتل؛ حتى يكثر فيكم المال فيفيض ".

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي موسى الأشعري ؓ أن النبي ﷺ قال: " إن بين يدي الساعة فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافرًا ". (صحيح الجامع: ٢٠٤٩)

فهذا وصف لزمان تكثر فيه الفتن، وينتشر الفساد بين العباد، وتسوء الأخلاق، ويكثر الشقاق، ويعم البلاء. كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط" والبخاري بنحوه من حديث حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " يأتى على الناس زمانٌ يتمنون فيه الدجال، قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ممّ ذاك؟ قال: ممّا يلقون من العناء ".

وفي هذا الزمان الذي يعم فيه العناء والبلاء تكثر الشهوات، وتتكاثر على الإنسان الشبهات التي تزعزع الإنسان، وتجعله لا يثبت على الإيمان، وربما يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ

- ففي "سنن الترمذي" من حديث أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ قال: " يكون بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافرًا، يبيع أقوامٌ دينهم بعرضٍ من الدنيا ".

- وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافرًا، أو يُمسي مؤمناً ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا ".

قال النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث:

"معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كترامك ظلام الليل المظلم لا القمر، ووصف ﷺ نوعاً من شوائب تلك الفتن وهو: "أنه يُمسي مؤمناً ثم يُصبح كافرًا" أو عكسه - شك الراوي -، وهذا لعظم الفتن؛ ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم. (شرح مسلم: ٣٢٠/١)

## تنبيهات:

أ- منشأ الفتن من جهة المشرق

دليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني: المشرق".

- وفي رواية البخاري: "اللهم بارك لنا في يَمَنَّا، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك في يَمَنَّا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، قال: فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان".

قال الخطابي -رحمه الله-: "تجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فهو ما انخفض، وفيه ردٌّ على مَنْ تَوَهَّمَ أن نجدًا موضع مخصوص".  
ولهذا قال سالم بن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الفتن تجيء من هاهنا، وأوماً بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان". ففهم سالم بن عبد الله بن عمر أن المقصود العراق"

ونقل الحافظ -رحمه الله-: "أن أول الفتن كان من قِبَلِ المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك ممَّا يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة.  
فمن العراق وما والاها ظهر الخوارج والشيعة والباطنية والمعتزلة والجهمية والمجوس والمانوية والمزدكية والهندوسية والبوذية والقاديانية والبهائية والتتار والدَّجَال ويأجوج ومأجوج والإلحاد... وغير ذلك من الفتن المتنوعة والفرق الضَّالَّة.

ب- جعل الله هذه الفتن لاختبار العباد، وتكفير للسيئات، ورفع في الدرجات  
فقد أخرج أبو داود عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمَّتِي هذه مرحومة، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن، والزلازل والقتل".

ج - على الإنسان أن يستمسك بدينه في زمن الفتن  
فقد أخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يأتي على الناس زمانٌ،  
الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر". (الصحيحة: ٢١٥٧)  
قال القاري كما في "تحفة الأحوزي" (٥٣٩/٦):

"والظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمر إلا بصبرٍ شديد، وتحمل غلبة المشقة،  
كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم" اهـ

ولهذا يعطي الله تعالى المستمسك بدينه في زمن الفتن أجراً عظيماً  
فقد أخرج الطبراني في "الكبير" من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:  
"إن من ورائكم زمانٌ صبرٍ، للمستمسك فيه أجرٌ خمسين شهيداً منكم". (صحيح الجامع: ٢٢٣٤)  
وفي "الصحيحين" عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن من ورائكم أيام  
الصبر، للمستمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجرٌ خمسين منكم، قالوا: يا نبي الله!  
أومنهم؟ قال: بل منكم".

## ٢ - تمنى الموت من كثرة الفتن آخر الزمان:

بداية لابد أن نعلم أن الإنسان ما ينبغي له أن يتمنى الموت أو يدعو به، فإن ذلك منهي عنه، وعمر  
المؤمن لا يزيده إلا خيراً، إن كان محسناً ازداد من الخير، وإن كان مسيئاً فإنه يُقْلَع عن الذنب ويتوب منه.  
ويدل على هذا ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
"لا يتمنين [لا يتمنى] أحدكم الموت، إما مُحْسِناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مُسِيئاً فلعله أن  
يُسْتَعْتَب<sup>(١)</sup>"

- وفي رواية عند مسلم بلفظ: "لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه  
إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزداد المؤمن عُمره إلا خيراً"  
قال الحافظ - رحمه الله - في "الفتح" (١٣٦/١٠):

"وفي قول النبي ﷺ: "إما مُحْسِناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مُسِيئاً فلعله أن يُسْتَعْتَب" فيه إشارة  
إلى أن المعنى في النهي عن تمنى الموت، والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب  
منها العمل، والعمل يحصل زيادة الثواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد؛ فهو أفضل الأعمال". اهـ  
- لكن مع كثرة الفتن وشدها ربما يتمنى الإنسان الموت ويشتهيها، ولو وجده يُباع لاشتراه

١- أي: يسترضي الله، وذلك بالإقلاع عن الذنب، وكثرة الاستغفار، والاستعتاب: هو طلب العُتْبَى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة، والرجوع عن الذنب،  
وقيل: "يُسْتَعْتَب" أي يرجع عن موجب العُتْبَى عليه.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "سيأتي عليكم زمانٌ لو وَجَدَ أَحَدُكُمْ الموتَ يُبَاعَ لاشْتِراءِ" وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمرَّ الرجل على القبر فيتمرَّغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه".

- وزاد الإمام أحمد: "وما به حب لقاء الله ﷻ".

قال الحافظ -رحمه الله- في "الفتح" (١٣/٧٥): "قال ابن بطال: تَغْبُطُ أهل القبور وتمنِّي الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر" اهـ وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: "ظن بعضهم أن هذا الحديث معارضٌ للنهي عن تمنِّي الموت، وليس كذلك، وإنما في هذا أن هذا القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه، لا لضرر ينزل في الجسم. اهـ.

كذا قال: "وكانه يريد: أن النهي عن تمنِّي الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم، وأما إذا كان يتعلق بالدين فلا"

ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله ﷺ: "اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون".

(رواه أحمد ومالك)

ومثل هذا قول عمر رضي الله عنه: "اللهم، قد ضعفت قوتي، وكبرت سني، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر". فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رضي الله عنه. (رواه مالك)

وعليه كذلك يُحمل قول مريم -عليها السلام-: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية (٣/١٠٣): "فيه دليل على جواز تمنِّي الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستُبْتَلَى وتُمْتَحَن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ أي: قبل هذا الحال، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾ أي: لم أخلق ولم أكن شيئاً. اهـ.

**فخلاصة الأمر:** أن الإنسان لا يتمنى الموت لضرّ نزل به في دنياه، أما إذا كان الضرّ في دينه فليتمنى الموت، وباطن الأرض خيرّ له من ظاهرها.

**ويدل على هذا ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**

**" لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به - وفي رواية: من ضرّ أصابه - فإذا كان لابد فاعلاً، فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي".**

**قال النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث:** " فيه التصريح بكراهة تمّني الموت لضرّ نزل به، من مرض أو فاقة أو محنة من عدو... أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه. اهـ.

**وعليه يحمل قول النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:**

**" ويل للعرب من شرّ قد اقترب، موتوا إن استطعتم ".**

**قال القرطبي -رحمه الله- كما في "التذكرة" (١١٤١/٣):**

"وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيراً من مباشرتها، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يلقي الرجل، فيقول له: "مت إن استطعت، فيقول له: لِمَ، قال: تموت وأنت تدري على ما تموت، خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ما تموت عليه".

**وهذا ما بيّنه النبي ﷺ ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن**

**النبي ﷺ قال: " اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة،**

**ويكره قلة المال، وقلة المال أقلّ الحساب ". (الصحيحة: ٨١٣)**

**يقول سهل التستري -رحمه الله-:**

لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل ما بعد الموت، ورجل يفر من قدر الله ﷻ - أي يفر من الفتن، ورجل مشتاق محبّ للقاء الله ﷻ.



### ٣- تقارب الزمان:

أخبر النبي ﷺ أن من علامات قُرب السَّاعة أن يتقارب الزمان  
فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يُقبَضَ  
العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان...". الحديث

- وعند البخاري ومسلم بلفظ: " إن من أشراط السَّاعة أن يتقاربَ الزمان، وينقص العلم،  
وتظهر الفتن، ويلقى الشح...". الحديث

- وفي رواية أبي داود: " يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح ".

- وعند البخاري: " لا تقوم الساعة حتى يقتتلَ فئتان عظيمتان... ويتقارب الزمان، وتظهر  
الفتن، ويكثر الهرج ".

وقد اختلف أهل العلم في قول النبي ﷺ: "يتقارب الزمان" على أقوال منها: -

١- نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب قيام السَّاعة، فيصير الانتفاع  
باليوم كالانتفاع بالساعة الواحدة.

٢- المراد بتقارب الزمان: استواء الليل والنهار.

٣- قرب يوم القيامة، واستدلوا بقول رسول الله ﷺ: "إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب"

٤- المراد: تقارب أهل ذلك الزمان في الشرِّ والفساد والجهل.

٥- تسارع الدول إلى الفناء والانقضاء والزوال، فلا تطول مددهم لكثرة الفتن.

٦- قال الخطابي -رحمه الله-: "هم من استلذاذ العيش يريد - والله أعلم - أنه يقع عند خروج  
المهدي ووقوع الأمانة في الأرض وغلبة العدل فيها، فيستلذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، وما زال  
الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالَّت، ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت.

وتعقب هذا بقول الكرمانى: "إن هذا لا يناسب أخواته من ظهور الفتن وكثرة الهرج وغيرها"

(نقله عنهما الحافظ-رحمه الله- في "الفتح": ١٣/١٦)

٧- ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في تعليقه على "فتح الباري"

(٥٢٢/٢): "أن التقارب المذكور في الحديث يفسر بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن  
والأقاليم، وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك. والله أعلم.

والراجع: أن المراد بـ "تقارب الزمان": هو قصر الزمان.

ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَّعْفَةِ<sup>(١)</sup>".

(صحيح الجامع: ٧٤٢٢)

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في "فتح الباري" (٢٠/٦٦):

"قد وجد في زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا. اهـ  
فالمقصود بـ "تقارب الزمان" في هذه الأحاديث: هو سرعة مرور الزمان؛ لأن الزمان كما يطوِّله الله تعالى في أيام الدَّجَال، فإنه كذلك يُقَصِّرُه حيث يشاء، ويفعل الله ما يريد.

١- السَّعْفَةُ: الخوصة، ورقة النخيل، والمعنى: أن الساعة من الزمان في ذلك الوقت تكون كنار السَّعْفَةِ تشتعل سريعاً وتنتهي.

#### ٤- خروج أدعياء النبوة:

أخبر الرسول ﷺ أنه سيخرج في هذه الأمة دجالون يدعون النبوة، وقد أخبر الرسول ﷺ أن عددهم قريب من ثلاثين، وحددهم في بعض الأحاديث بسبعة وعشرين.

- ففي "صحيح البخاري ومسلم" عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يُبعث<sup>(١)</sup> دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله ".

- وفي صحيح مسلم عن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي ".

- وأخرج أبو داود والترمذي عن ثوبان ؓ أن النبي ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي ".

وعند الإمام أحمد: " بين يدي الساعة قريب من ثلاثين دجالاً، كلهم يقول: أنا نبي ".

قال ابن كثير -رحمه الله- في "النهاية" (١/٤٩): "وهذا إسناد جيد تقرّد به أحمد". اهـ.

وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن سمرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن بين يدي الساعة كذابين، قال جابر: **فاحذروهم**".

وقد حددهم النبي ﷺ في بعض الروايات بسبعة وعشرين

ففي "مسند الإمام أحمد" و"مشكل الآثار" للطحاوي والبزار و"معجم الطبراني الكبير

والأوسط" بإسناد صحيح عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: " في أمتي كذابون، ودجالون سبعة

وعشرين، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدي ". (السلسلة الصحيحة: ١٩٩٩)

• وجاء في بعض الروايات تحديداً لبعض هؤلاء الكذابين وذكر أسمائهم

-فقد أخرج ابن حبان بسند صحيح عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: " إن بين يدي الساعة كذابين، منهم صاحب اليمامة، ومنهم

صاحب صنعاء العنسي، ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة ".

١- يُبعث: يعني يخرج ويظهر.

- وفي "مسند الإمام أحمد" بسند صحيح عن النبي ﷺ قال:

**" وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب "**

• وقد وقعت هذه العلامة من علامات الساعة، فخرج كثير من أدعياء النبوة، فمنهم من خرج في زمن النبوة، ومنهم من خرج في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولا يزالون يظهرون حتى عصرنا هذا، وآخرهم المسيح الدجال.

(١) فادّعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ الأسود العنسي في اليمن، حيث ارتدّ عن الإسلام، وادّعى النبوة، وكانت ردة أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ، وقد تحرك بمن معه من المقاتلين، واستولى على جميع أجزاء اليمن خلال ثلاثة أشهر أو أربعة، فبعث النبي ﷺ رسالة إلى المسلمين في اليمن، يحثهم على مقاتلته، فاستجابوا وقتلوه في منزله بمعاونة زوجته التي تزوجها قسراً بعد أن قتل زوجها، وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله ﷺ، وبمقتله ظهر الإسلام وأهله في اليمن، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ، وكان قد أتى إليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه، وقد دامت فترة ملك هذا الكاذب من حين ظهوره إلى أن قُتل ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر.

(٢) ومنهم مسيلمة الكذاب باليمامة، والذي ظهر في زمن النبي ﷺ، ثم قُتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان مسيلمة الكذاب يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام، وقد أرسل إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم، فاستقبلهم مسيلمة بجيش كان قوامه أربعين ألف مقاتل، ودارت بينهم معارك حاسمة، وكانت الدائرة فيها على مسيلمة وجيشه، وقُتل مسيلمة بيد وحشي بن حرب رضي الله عنه، وانتصر الحق، وارتفعت راية التوحيد.

(٣) ومنهم سجاح بنت الحارث التغلبية، كانت من نصارى العرب، وقد ادّعت النبوة بعد موت النبي ﷺ؛ فالتفت حولها أناس كثير من قومها وغيرهم، وغزت بهم القبائل المجاورة، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدّفته، وتزوجها، ولما قُتل مسيلمة رجعت إلى بلادها، وأقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها، وانتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها.

(٤) ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي، وقد قاتله المسلمون مراراً، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ولحق بجيش المسلمين، وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاءً حسناً، واستشهد بنهاوند رضي الله عنه.

(٥) وفي عصر التابعين خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد أخرج أبو داود حديثاً وفيه:

**"حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالاً، كلهم يكذب على الله ورسوله، فسئل عبدة السّلماني:**

**أترى هذا منهم - يعني المختار؟ - فقال عبدة: أما إنه من الرعوس"**

وأخرج الإمام مسلم عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- في قصة مقتل ابنها عبد الله بن الزبير، قالت وهي تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قاد الجيش لقتال عبد الله بن الزبير: "أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً<sup>(١)</sup>، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المُبيرُ فلا إخالكَ إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها".

قال الإمام النووي -رحمه الله- كما في "شرح مسلم" (٣٢٨/١):

"وقولها في الكذاب: **«فأيناه»** تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن قبحه ادّعى أن جبريل عليه السلام يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا "المختار بن أبي عبيد"، وبالمبير "الحجاج بن يوسف"، والله أعلم. اهـ

وأظهر المختار في بداية خروجه التّشيع أولاً، فالتفت حوله جماعة كثيرة من الشيعة، وزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه، وقد دارت بينه وبين مصعب بن الزبير معارك قُتل فيها المختار.

(٦) ومنهم الحارث بن سعيد الكذاب، والذي أظهر التّعبد في دمشق، ثم زعم أنه نبي، ولما علم أن الخبر وصل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان اختفى، فاستطاع رجلٌ من أهل البصرة أن يعرف مكانه، وتظاهر له بالتصديق، فأمر الحارث ألا يُحجب منه هذا الرجل متى أراد الدخول عليه، فأوصل هذا الرجل الخبر إلى عبد الملك، فأرسل معه جنوداً وقبضوا عليه، وجيء به إلى عبد الملك، فأمر عبد الملك رجلاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويُعلّموه أن هذا من الشيطان؛ فأبى أن يقبل منهم ويتوب، فقتله عبد الملك بن مروان.

(٧) وفي العصر الحديث قبل أكثر من قرن، ظهر بالهند رجل يُدعى "ميرزا غلام أحمد القادياني"، ادّعى النبوة والمهدوية، ثم ادّعى أنه عيسى، وكان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء، كما زعم أن الله أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة، وصار له أتباع، وصدّق دعوته طائفة سُموا بالقاديانية، نسبة إلى قريته بالهند (قاديان)، وسُموا بالأحمدية أيضاً نسبة إليه؛ لأنه سمى نفسه أحمد.

- وقد قام العلماء وردّوا عليه، وبيّنوا أنه دجال، منهم العالم الجليل "ثناء الله الأمرتسري"، وكان من أشد العلماء عليه، حتى أنه في عام (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) تحدّى القادياني الشيخ ثناء الله، بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المُبطل في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء الطاعون؛ يكون فيه حقه.

١ - المُبير: القاتل السّفاح، كثير القتل.

- وبعد سنة أصيب القادياني بدعوته، وقد ذكر أبو زوجته نهايته، فقال: لما اشتد مرضه أيقظني، فذهبت إليه، ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات.

(٨) وممن ظهر أيضاً "المرزا علي محمد رضا الشيرازي"، الذي أسس الحركة البابية سنة (١٢٦٠هـ) تحت رعاية اليهودية العالمية، والاستعمار الروسي، والاستعمار الإنجليزي بهدف تفكيك وحدة المسلمين، وأعلن أنه الباب، ولما مات قام بالأمر من بعده المرزا حسين علي الملقب بالبهاء، وسمّى الحركة بـ(البهائية)، وله كتاب اسمه (الأقدس).

(٩) وآخر من ادّعى النبوة في هذا الزمان هو "محمود محمد طه السوداني"، الذي أضل كثيراً من الناس بكتابات ومقالاته، وقد أُعِدِم في سنة ١٩٨٥م، أعدمته حكومة السودان بسبب ضلاله وكفره وردته.

### **تنبيهات:**

أ- لا يُستبعد أن يظهر دجالون يدّعون النبوة في زماننا هذا كما حدث أو حتى يخرجون بعد زماننا، ودليل ذلك: -

**ما أخرجه البخاري والإمام أحمد واللفظ له عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: " أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده: والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون من دنياكم وآخرتكم، وإنه والله، لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعرور الكذاب ".**

ب - الذين خرجوا وزعموا وادّعوا النبوة عدد لا يُحصى، والتاريخ والواقع يشهد بذلك، لكن أخبر النبي ﷺ أن مدّعي النبوة ثلاثون، وهذا ليس فيه أي تعارض، فهؤلاء الثلاثون الذين ذكرهم النبي ﷺ هم الذين يكون لهم شهرة ودولة وأتباع، أما غيرهم ممن ليس له كذلك، فلا يُعد من الثلاثين.

ج - وقع في بعض الأحاديث أن عدد من يدّعي النبوة "سبعة وعشرون" كما مرّ بنا في رواية الإمام أحمد، لكن أكثر الروايات تذكر أنهم "ثلاثون"، فلعلها على طريقة جبر الكسر، بدليل أن بعض الروايات صرحت بذلك كما في رواية الصحيحين، **حيث قال الحبيب النبي ﷺ: " وحتى يُبعث كذابون دجالون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله... " الحديث**

## هـ- أن تلد الأمة ربتها

ومن علامات الساعة أن تلد الأمة المملوكة ولدًا يكون له السيادة عليها.

- كما جاء في الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم وفيه: " أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الساعة؟ فقال النبي ﷺ: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها ".

- وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام: " وسأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربتها ".

- وفي رواية لمسلم: " إذا ولدت الأمة ربها ".

• واختلف العلماء في معنى قول النبي ﷺ: "إذا ولدت الأمة ربها" على أقوال: -

منها: أن يطأ الرجل الحر أُمَّتَهُ - أي جاريته المملوكة بِمَلِكِ اليمين - فتحمل منه ثم تتجب ولدًا، فيصبح الولد شابًا حرًا، وأبوه حيٌّ وأُمُّه لا تزال أُمَّةً مملوكةً، فيكون الولد بمثابة السيّد لأُمِّه.

وقيل: بأن الإماء يلدن الملوك، فتصير الأمُّ من جملة الرعية، والملك سيد رعيته.

(شرح النووي على مسلم: ١/١٥٨)

وقيل: أن يبيع السادة أمهات أولادهم؛ فيتداولونهم إلى أن يشتري الولد أُمَّه وهو لا يعرفها.

وقيل: هو أن يكثر العقوق؛ فيعامل الولد أُمَّه معاملة السيد لأُمَّتِهِ من القسوة، والجفاء، والإهانة، والسبِّ، والضرب.

وقيل: هذا كناية عن قلب الموازين.

## ٦- تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان:

من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ وظهرت، هي تطاول أهل البوادي وأشباههم في البنيان، فيبنون العمارات والأبنية متعددة الأدوار، ويتباهون في ارتفاعها، ويتنافسون في ذلك، بعد أن كانوا حفاة عراة يرعون الغنم. ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

"بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياض الثياب، شديد سواد الشعر - وفي الحديث قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة<sup>(١)</sup> العراة<sup>(٢)</sup> العالة رعاء الشاء<sup>(٣)</sup> يتطاولون في البنيان<sup>(٤)</sup>..." الحديث.

- وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للسائل عن وقت قيام الساعة:

"ولكن سأحدثك عن أشراطها... وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان..." الحديث

وفي رواية في "الصحيحين": "لا تقوم الساعة... وحتى يتطاول الناس في البنيان".

وعند الإمام أحمد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ أخبر جبريل عليه السلام بأمارات الساعة فقال: "إذا رأيت الأمة ولدت ربّتها أو ربّها، ورأيت أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رعوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراطها، قال: يا رسول الله، ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: العرب".

(السلسلة الصحيحة: ١٣٤٥)

قال ابن رجب -رحمه الله- في تعليقه على الحديث: "مضمون ما ذكر من أشرط الساعة في

هذا الحديث يرجع إلى أن الأمور تُؤسّد إلى غير أهلها"، كما قال النبي ﷺ لمن سأله عن

الساعة: "إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" فإذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء، وهم

أهل الجهل والجفاء رعوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان فإنه يفسد بذلك

نظام الدين والدنيا. (جامع العلوم والحكم: ص ٣٩)

١- الحفاة: الذين لا نعل بأرجلهم.

٢- العراة: الذين لا ثوب يستر أجسادهم.

٣- رعاء الشاء: حراس الغنم، وهم أشد الناس فقرًا.

٤- يتطاولون في البنيان: هو التفاخر بالعمارات الشاهقة والتنافس فيها مع زخرفتها داخلاً وخارجاً، بعد أن كان أصحابها يعيشون في خيام الشعر، ويرعون الشاء حفاة عراة لشدة فقرهم، وقد حدث ولا زال يحدث، حيث تُبسّط الدنيا للأعراب، فزادت أدوار بعض أبنيتهم عن الثلاثين، وفي ذلك معجزة رآها الناس اليوم، ولم يرها أهل القرن السالف.



## ٧- وقوع التناكر بين الناس:

فقد أخرج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال: "سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الساعة؟ فقال: علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً، قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال: "بلسان الحبشة: القتل، ويلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحدٌ يعرف أحدًا".

(قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣٠٩/٧): رجاله رجال الصحيح)

وتلك العلامة ظهرت بين الخواص، فضلاً عن العوام، فالتناكر انتشر بين المسلمين انتشار النار في الهشيم، والعلاقات بين الناس بُنِيَتْ على المصالح الشخصية الواهية، والواقع يشير بقوة لصدق هذا الحديث، فقد أصبح كثير من الناس لا يكاد يعرف أقاربه، حتى ربما التقى الأقارب في أماكن عامة فلا يعرف بعضهم بعضاً، وأصبح الجار لا يعرف جاره، وغير ذلك من صور التفريط والتي تنتشر في آخر الزمان، ولعل ذلك من كثرة الفتن وانشغال الناس كلِّ بحاله.

أضف إلى هذا: أن كثرة الفتن والمحن، وكثرة القتال بين الناس أدَّى إلى وقوع التناكر بينهم، بالإضافة إلى أن الدنيا دخلت قلوب الناس واستولت عليها، وكلُّ يعمل لحظ نفسه، فكثر الأنانية، وسيطرت عليهم الأهواء والشهوات؛ فوقع التناكر بين الناس.

## ٨- التسليم على الخاصة:

ومن علامات الساعة تسليم الخاصة، وهو أن لا يُلقى الرجل السلام إلا على مَنْ يعرفه، ويدع السلام على مَنْ لا يعرف. **فقد أخرج الإمام أحمد عن طارق بن شهاب قال: كنا عند عبد الله جلوساً، فجاء رجلٌ فقال: قد أقيمت الصلاة، فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعاً في مقدم المسجد، فكبرَ وركع وركعنا، ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمرَّ رجلٌ يسرع، فقال: السلام عليك يا أبا عبد الرحمن، فقال: صدق الله ورسوله، فلما صليْنَا ورجعنا دخل على أهله وجلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم رده على الرجل: صدق الله وبلَّغْتُ رُسُلَهُ، أيُّكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله، فسأله حين خرج، فذكر عن النبي ﷺ: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشوُّ التجار؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم". (السلسلة الصحيحة: ٦٤٧)**

- **وأخرج الإمام أحمد كذلك وابن خزيمة عن أبي الجعد قال: "لقي عبد الله رجلاً، فقال: السلام عليك يا بن مسعود، فقال عبد الله: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط الساعة، أن يمرَّ الرجلُ في المسجد لا يُصليّ فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على مَنْ يعرف". (السلسلة الصحيحة: ٦٤٨)**

- **وفى رواية عند أحمد عن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط الساعة: أن يُسلم الرجل على الرجل لا يُسلم عليه إلا للمعرفة". (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح).**

**وعند الإمام أحمد أيضاً: "إن من أشراط الساعة إذا كانت التَّحِيَّة على المعرفة".**

**وعند الطبراني: "لا تكون الساعة حتى يكونَ السلامُ على المعرفة".**

والتسليم على المعرفة فقط خلاف السُّنَّة، التي دعت إلى إفشاء السلام وإلقائه على مَنْ عرفت وَمَنْ لم تعرف.

**ففي "الصحيحين": "أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: تَطْعِمُ الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرفت وَمَنْ لم تعرف".**

• وإلقاء السلام سبب للمحبة والألفة بين الناس وهي سبب لدخول الجنة

**فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا؛ ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاًدكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"**

## ٩- فشو التجارة، ومشاركة المرأة لزوجها في التجارة، وسيطرة بعض التجار على السوق:

جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والبخاري والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة".

وفشو التجارة هو كثرتها وانتشارها واشتغال الناس بها لسهولة أمرها، ممّا دعى إلى أن المرأة تشارك زوجها في التجارة لغرض جمع المال، لكن مع غياب الوازع الديني، وانتشار الفساد، وعدم تحري الحلال يقع الناس في الحرام؛ ولا يبالون من أي مصدر كان هذا المال، أمن حلال أم من حرام؟ وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليأتين على الناس زمان، لا يبالى المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام؟".

أما سيطرة بعض التجار على السوق فيدل عليه الحديث الذي أخرجه النسائي عن عمرو ابن تغلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر الجهل، ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا. حتى أستمّر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد".

وقول الرسول ﷺ: "يبيع الرجل البيع فيقول: لا. حتى أستمّر تاجر بني فلان".

يفهم منه أن تجاراً كباراً ولعلمهم أصحاب رعوس الأموال أو الوكلاء المعتمدون للسلع تصديراً أو استيراداً، لعل هؤلاء يسيطرون على السوق ويتحكمون في الأسعار، فلا يستطيع التجار الصغار التصرف بتجارتهم إلا بإذنهم. أو يشترط عند البيع إثبات الخيار لتاجر آخر.

وقوله ﷺ: "ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد". وذلك لأن النبي ﷺ أخبر في أحاديث أخرى بانتشار الكتابة، وهذا قد تمّ في هذا العصر من انتشار أجهزة الكتابة الحديثة مثل أجهزة الكمبيوتر، والهاتف المحمول، وأجهزة ترجمة الصوت إلى نصوص مكتوبة... وما شابه ذلك؛ فينشأ جيل لا يعرف الكتابة باليد أو لا يتقنها.

وذكر السندي في "حاشيته على سنن النسائي": أن المراد هنا أن يلتمس ممن يكتب عقد التجارة ويتقن شروط البيع وأحكامه، فيكتب بين الناس احتساباً غير طامع في مكافأة فلا يوجد.

## ١٠- تقارب الأسواق:

وهذه علامة من علامات الساعة وقد ظهرت كما أخبر النبي ﷺ  
فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى  
تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق " . (السلسلة الصحيحة: ٢٧٧٢)

وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " يوشك ألا تقوم الساعة حتى  
يُقبض العلم، وتظهر الفتن، ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان، وتتقارب الأسواق " .

### والمقصود بتقارب الأسواق هو: -

**الأول:** سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه من خلال وسائل الاتصال.

**الثاني:** سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت مسافة الطريق بعيدة جداً، وذلك عن طريق وسائل  
المواصلات السريعة، التي جعلت المدن متقاربة، وهذا الذي رجّحه الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه  
الله-

**الثالث:** مقارنة بعضها بعضاً في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان - والله  
أعلم.

## ١١ - ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

بداية لابد أن نعلم أن الأصل في الإنسان أنه أمين

يقول محمد رشيد رضا - رحمه الله - كما في "تفسيره المنار" (١٧٦/٥):

"الأصل أن يكون الناس أمناء، يقومون بوازع الفطرة والدين، والخيانة خلاف الأصل. اهـ.

ومما يدل على أن الأمانة هي الأصل وأنها مركوزة في الفطرة ما أخرجه البخاري ومسلم عن حذيفة قال: "حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: أن الأمانة نزلت في جذر<sup>(١)</sup> قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينام الرجل نومه فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكْت<sup>(٢)</sup>، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجَل<sup>(٣)</sup>، كجمرٍ دحرجته على رجلك فنَفِطَ<sup>(٤)</sup>، فتراه مُنْتَبِراً<sup>(٥)</sup> وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجده! وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان، يقول حذيفة: ولقد أتى عليَّ زمانٌ ولا أبالي أيكم بايعت<sup>(٦)</sup> لئن كان مسلماً رده عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت أباع<sup>(٧)</sup> إلا فلاناً وفلاناً".

وقد بين النبي ﷺ في الحديث السابق أن سبب ضياع الأمانة؛ فساد سرائر الناس، وقلة إيمانهم؛ لأن هناك علاقة وثيقة بين الإيمان والأمانة؛ فإذا ضاع الإيمان فلا أمانة

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال: "ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: لا

إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له". (صحيح الجامع: ٧١٧٩)

وكان عروة بن الزبير رضي الله عنه يقول: "ما نقصت أمانة الرجل إلا نقص إيمانه".

١ - الجذر: الأصل من كل شيء.

٢ - الوكْت: جمع "الوكته"، وهو الأثر اليسير في الشيء كالنقطة فيه، ومعني الحديث يكون لا أثر في قلبه.

٣ - المجَل: قشور رقيقة يجمع فيها ماء تحت الجلد من أثر العمل تشبه البثر.

٤ - نفط: أي ورم وامتلاء ماء. قال الحافظ - رحمه الله - في "الفتح" (٣٩/١٣): "وحاصل الخبر أنه أنذر برفع الأمانة، وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة، فإنه يصير خائناً لأن القرين يقتدي بقرينه.

٥ - منتبراً: مرتفعاً.

٦ - قال الحافظ - رحمه الله - في "الفتح" (٣٩/١٣): "قوله: "ولقد أتى عليَّ زمانٌ" يشير إلى حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان، وكانت وفاة حذيفة في أول سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بقليل، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغير، فأشار إليه. قال ابن التين: "الأمانة كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلف. وعن ابن عباس: هي الفرائض التي أمروا بها ونهوا عنها. وقيل: هي الطاعة. وقيل: التكليف. وقيل: العهد الذي أخذه الله على العباد.

٧ - المراد بقوله: "بايعت": من البيع والشراء، أي: أنه كان في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الصحابة يطمنن في بيعه وشرائه إلى من يبايعهم ويشترى منهم؛ لتوفر الأمانة وتوطنها في قلوب الناس، وحتى إن حدث خيانة أو خطأ... أو نحو ذلك من بعض البائعين والمشتريين، فالوالي أو القاضي أو الساعي أو الأمير يرد إليّ مظلمتي وحقي، أما الآن فقلت الأمانة وقتل من يبحثون عن رد الحقوق إلى أهلها، والأخذ على يد الظالم، فدفعني ذلك إلى أن لا أبيع ولا أشتري إلا مع من أثق به والله أعلم.

ولذلك لا يتصور من المؤمن خيانة.

فقد أخرج البيهقي في "سننه" وأبو يعلى في "مسنده" عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب".

لكن مع تطاول الزمان وفساد الأخلاق تُرْفَع الأمانة، وهي أول ما سترفع من قلوب الناس.

فقد أخرج الحكيم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى".

(صحيح الجامع: ٢٥٧٥).

فإذا ضاعت الأمانة ورُفِعَت من قلوب الرجال فانظر الساعة؛ لأنه ستنقلب الموازين، وتفسد سرائر الناس، ويتولى مقاليد الأمور غير الأمانة؛ فتعود الفوضى، ويعم الفساد، وهذا أكبر مقتل يفسد نظام الحياة.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم؛ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكـره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: هاأنا يا رسول الله. قال: فإذا ضيَّعت الأمانة فانظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّدَ<sup>(١)</sup> الأمر إلى غير أهله فانظر الساعة".

فبيّن النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة.

ومن مظاهر إضاعة الأمانة إسناد الأمور المتعلقة بالآخرة أو بالدنيا أو بهما معاً إلى غير مستحقيها، كالقضاء والإفتاء والتدريس والقيادات وسائر الوظائف العامة، وإنما دلّ ذلك على دنو الساعة لما فيه من خيانة للرعاة والرعية؛ ينتج عنها تقويت الحقوق وإضاعة المصالح.

١ - قال الحافظ في "الفتح" (١٤٣/١): قوله: "إذا وُسِّدَ": أي أُسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تنثني تحتها وسادة، فقوله: "وُسِّدَ" أي جعل له غير أهله وساداً؛ فتكون "إلى" بمعنى "اللام" وأتى بها ليدل على تضمين معنى "أسند"، ولفظ محمد بن سنان في "الرقاق": "أسند". ثم قال -رحمه الله-: "واسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشرار".

## ١٢ - تخوين الأمين واختلال الموازين

وهذه من علامات الساعة، وقد تقدّم في العلامة السابقة أن رفع الأمانة من علامات الساعة، وأن يؤسّد الأمر إلى غير أهله، وكذلك من علامات الساعة تخوين الأمين، وهو أن يُشكّ فيه، ولا يوثق في أمانته وصدقه، بينما يوثق في الكاذب والمنافق، وهذا قلب للحقائق واختلال الموازين. وهذا ما أخبر به الرسول الأمين ﷺ.

**فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط الساعة: الفحش والتفحّش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن".**  
**وعند الإمام أحمد أيضاً وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سيأتي على الناس سنوات خداعات - وفي رواية: سنون خداعة - يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين".**

(السلسلة الصحيحة: ١٨٨٨) (صحيح الجامع: ٣٦٥٠).

**وقال الشعبي -رحمه الله-: "لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلاً، والجهل علماً".**  
**وعند الإمام أحمد كذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أمام الناس سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، فيخون فيها الأمين، ويؤتمن الخائن".**

**وأخرج البخاري عن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين...". الحديث.**

فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث: أن المقاييس التي يقوم بها الرجال تختل قبل قيام الساعة، فيقبل قول الكذاب ويصدق، ويرد قول الصادق، ويؤتمن الخونة على الأموال والأعراض، ويخون الأمناء ويتهمون، ويتكلم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس وقد كان كما أخبر النبي ﷺ.

### ١٣- إِمارة السفهاء:

من المعلوم أن صلاح الأمة يكون بصلاح أمرائهم، وفساد الأمة يكون بفساد أمرائهم.

**وكان الليث بن سعد -رحمه الله- يقول: "من رأس العين يأتي الكدر، وإذا صفا رأس العين صفت السواقي".**

**وكتب الحسن البصري -رحمه الله- إلى عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فقال له في وصف الأمير العادل: "الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده".**

وقد بين النبي ﷺ أنه سيأتي على الناس زمانٌ يتولَّى عليهم فيه السفهاء الذين لا يهتدون بهدي النبي ﷺ ولا يستنُّون بسنته.

**فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة رضي الله عنه:**

**"أعاذك الله يا كعب من إِمارة السفهاء<sup>(١)</sup> قال: ما إِمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنُّون بسنَّتي، فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم؛ فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يُصدِّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم؛ فأولئك مني وأنا منهم ويردون على حوضي. يا كعب بن عجرة: الصومُ جُنَّةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان - أو قال: برهان - يا كعب بن عجرة: الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها".**

وهذه العلامة: (إِمارة السفهاء) هي نتيجة طبيعية للعلامة السابقة عندما يُوسَّد الأمر إلى غير أهله، وتنعكس الأحوال وتتقلب الموازين؛ حيث يصدق الكاذب، ويكذب الصادق، ويؤتمن الخائن، ويُخون الأمين، ويتكلم الجاهل، ويسكت العالم، فلا عجب أن ترى الذي يقود الأمة ويمسك بزمامها هم السفهاء. **كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني بسند فيه مقال: "لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها".**

والمنافقون كما هو معلوم قليلو الإيمان عديمو الخشية كثيرو الكذب، لكن ومع الأسف يكونون هم سادة القوم ورؤساؤهم.

١ - السفهاء: جمع "سفيه"، وهو خفيف العقل، قليل التدبُّر، الذي لا يحسن تدبير شئون نفسه فضلاً عن شئون غيره، والسفه في اللغة: "الخفة"، يقال: ثوب سفیه، أي ثوب خفيف.



**وصدق النبي ﷺ حيث قال: " إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار ويرفع الأشرار".**

(أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-)

وعند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " من اقتراب الساعة أن تُرفع الأشرار، ويُوضع الأخيار، وَيَقْبَحَ القول، وَيَحْزَنَ العمل، وتتلى في القوم المثناة. قلت: وما المثناة؟ قال: ما كتب سوى كتاب الله ".  
وذكره في "مجمع الزوائد" بلفظ: " ويحسن العمل، وتُقرى في القوم المساءة. قلت: وما المساءة؟ قال: ما كتب سوى كتاب الله ".

وما أكثر الكتب والصحف والإذاعات ووسائل المعلومات المضللة اليوم.

#### **١٤ - ظهور أعوان الحكام الظلمة الذين يجلدون ويضربون الناس :**

يكثر الظلم في آخر الزمان حتى إن الرجال الذين يوكل إليهم القيام على الأمن وردع الظالمين يفسدون، ويتحولون إلى ظلمة، يجلدون ظهور العباد بسياطهم، وهذا كثير مُشَاهَد في ديار الإسلام اليوم.  
فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم والطبراني في "الكبير" بإسناد صحيح عن أبي أمامة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في آخر الزمان - وعند الحاكم بلفظ: " يخرج في هذه الأمة في آخر الزمان - رجالٌ معهم سيّاط كأنها أذنان البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه ". (السلسلة الصحيحة: ١٨٩٣).

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قومًا، يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذنان البقر".

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة - قال: سمعت أبا هريرة ؓ يقول: قال رسول الله ﷺ: " يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذنان البقر، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله ".

وهذه الأحاديث وإن لم يكن فيها التصريح بأنهم يضربون الناس؛ إلا أن وصفهم بالسخط واللعة يشير إلى كثرة ظلمهم واعتدائهم على الناس، بل صرح النبي ﷺ في حديث آخر أنهم يضربون الناس.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رعوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

قال النووي -رحمه الله- كما في "شرح مسلم" (١٧/١٩٠):

وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة.

• وقد جاء في بعض الأحاديث صراحة أنهم هم الشرطة

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن أبي أمامة ؓ عن النبي ﷺ قال: "سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم". (الصحيحة: ١٨١٣) (صحيح الجامع: ٣٦٦٦)

## ١٥- أن يتكلم السفية في أمر العامة

فعندما تتغير الأحوال وتتبدل المفاهيم وتنقلب الموازين، تجد أن الذي يتكلم في أمور العامة وقضاياهم هو الرجل الفاسق السفية.

- أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قبل الساعة سنوات خداعات، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويُخَوَّن فيها الأمين، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، وينطق فيها الرُّويبضة <sup>(١)</sup>".

- وفي رواية أخرى عند أحمد أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إنها ستأتي على الناس سنوات خداعة، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرُّويبضة؟ قال: السفية يتكلم في أمر العامة".

- وأخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أمام الدجال سنين خداعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويُخَوَّن فيها الأمين، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرُّويبضة، قيل: وما الرُّويبضة؟ قال: الفويسق يتكلم في أمر العامة".

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة، قيل: وما الرُّويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة". (صحيح الجامع: ٣٦٥٠)، (السلسلة الصحيحة: ١٨٨٨)

وهذا ما رأيناه في هذه الأيام، حيث ذهب الفاسقون من الممثلين والممثلات يتكلمون باسم الدين، ويذهبون هنا وهناك للكلام في قضايا الناس، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.

١- والرُّويبضة فسره النبي ﷺ كما في الحديث التالي: بأنه الرجل التافه يتكلم في أمر العامة، والتافه: الخسيس الفقير، والرُّويبضة تصغير "الرابضة": وهو العاجز الذي ربح عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. (النهاية: ١٨٥/٢).

## ١٦ - ارتفاع الأراذل والسفهاء:

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع ". (صحيح الجامع: ٧٤٣١)

وفي "لسان العرب": أن اللكع: هو "العبد أو اللئيم"، وقيل: الوسخ، وقيل: الأحمق الجاهل، وقيل: هو ضيق الصدر، قليل الغناء، الذي يؤخره الرجال عن أمورهم، فلا يكون له موقع، ويقال للرجل: "لكع"، وللمرأة: "لكاع".

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع بن لكع ".

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع، فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين ".

ورواه الطحاوي في "مشكل الآثار" بلفظ: " يوشك أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع، وأفضل الناس مؤمن بين كريمين ". (الصحيحة: ١٥٠٥)

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لا تذهب الأيام والليالي حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع ".

## ١٧ - هلاك الوعول وظهور التحوت:

وقد ظهرت هذه العلامة ولا تزال تتتابع، حيث يموت العلماء والعقلاء والحكماء، ولم يبق إلا حثالة من الناس يُزفَعُونَ على الأعناق، ويشار لهم بالبنان، وتتسلط عليهم الأضواء، ويتكلمون في أمور العامة، وهذا من علامات الساعة.

فقد أخرج الحاكم في "المستدرک" أن النبي ﷺ قال: " والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى... ونكر منها: "ويهلك الوعول، ويظهر التحوت، فقالوا: يا رسول الله، وما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم ".

## ١٨ - الخضاب بالسواد (تشبب الشيخ):

وهذه علامة بين النبي ﷺ أنها ستقع في آخر الزمان، وقد كان ما أخبر به النبي ﷺ ووقع على الوجه الذي أخبر به ﷺ.

**فقد أخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " يكون قوم يخضبون<sup>(١)</sup> في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام<sup>(٢)</sup> لا يريحون رائحة الجنة". (صحيح الجامع: ٨١٥٣)**

وينطبق هذا الحديث على الذي يخلق عوارضه، ويدع ما على ذقنه من الشعر، ثم يصبغه بالسواد؛ فيغدو كحواصل الحمام.

**قال الإمام النووي - رحمه الله - كما في "شرح مسلم" (١٤/١٠): "يحرم خضابه بالسواد على الأصح، وقيل: يكره كراهية تنزيهه، والمختار التحريم؛ لقوله ﷺ: " واجتنبوا السواد ".**  
**قال ابن الجوزي - رحمه الله - كما في "كتابه الموضوعات" (٣/٥٥):**  
**"يحتمل أن يكون المعنى لا يريحون رائحة الجنة لفعل يصدر منهم، أو اعتقاد لا لعة الخضاب.**

### تنبيه:

مسألة الخضاب بالسواد من المسائل الخلافية بين أهل العلم، فمنهم من قال بتحريم الخضاب بالسواد، ومنهم من يقول بالكراهية فقط، ومنهم من يقول بالجواز بلا كراهية، ولكل قول من هذه الأقوال قوته وأدلته، ومن أراد الاطلاع على أدلة كل فريق والراجح منها؛ فليراجع كتاب "مفاتيح الفقه" للشيخ مصطفى العدوي - حفظه الله -.

١ - يخضبون: أي يُغَيَّرُون الشعر الأبيض من الشيب الواقع في الرأس واللحية بـ(السواد)، أي: باللون الأسود.  
٢ - كحواصل الحمام: قال الطيبي - رحمه الله -: "معناه: كحواصل الحمام في الغالب؛ لأن حواصل بعض الحمامات ليست بسوداء."

## ١٩- كثرة النساء وقلة الرجال:

ومن علامات الساعة كثرة النساء آخر الزمان وقلة الرجال

أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لأحدثكم حديثاً لا يحدثكم أحدٌ بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول" من أشرط الساعة: أن يقلَّ العلمُ، ويظهر الجهلُ، ويظهر الزنا، وتكثر النساءُ، ويقل الرجالُ، حتى يكون لخمسين امرأةٍ القيم الواحد <sup>(١)</sup>". وفي رواية أخرى: "لا تقوم الساعة - أو قال: إن من أشرط الساعة: أن يُرفع العلمُ، ويظهر الجهلُ، ويُشرب الخمرُ، ويفشو الزنا، ويذهب الرجالُ، ويبقى النساءُ، حتى يكون لخمسين امرأةٍ قيم <sup>(٢)</sup> واحد". - وفي رواية: "يظهر الزنا، ويقل الرجالُ، ويكثر النساءُ".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ليأتينَّ على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويُرَى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأةً يلذُن به من قلة الرجال وكثرة النساء".

وقال أهل العلم: "إن سبب زيادة النساء على الرجال قد ترجع إلى أمور منها: -

١- أن يكون ذلك بسبب كثرة الفتن والحروب، فيقتل الرجال، ويكثر عدد النساء.

وقيل: إنه يكون لكثرة الفتوح فتكثر السبايا.

وقيل: إن الله يقدر في آخر الزمان أن يقل عدد المواليد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، والمتأمل في نسب الولادة بين الذكور والإناث يعلم صدق رسول الله ﷺ.

وهذا الأخير هو الذي رجَّحه الحافظ ابن حجر، فقد قال كما في "فتح الباري" (١/١٣٣): "والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يُقدَّر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث. هذا والله أعلى وأعلم.

١- القيم: يعني من يقوم بأمور هؤلاء النسوة، وما يحتجن إليه من النفقة وغيرها.

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١/١٧٩): "يحتمل أن يُراد بهذا العدد حقيقته، ويحتمل أن يُراد المجاز على الكثرة.

٢- قال القرطبي -رحمه الله- في "التذكرة": "يحتمل أن يُراد بالقيم: من يقوم عليهن سواء كن موطأت أم لا، ويُحتمل أن يكون ذلك يقع في الزمان الذي لا يبقى فيه من يقول: "الله الله"، فيتزوج الواحد بغير عدد جهلاً بالحكم الشرعي.

## ٢٠ - كثرة الروم وقلة العرب:

الروم هم مَنْ يُطْلَق عليهم اليوم الأوروبيون والأمريكان، وسمو بالروم نسبة إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، ولهذا يطلق عليهم بنو الأصفر. (التذكرة للقرطبي: ٦٨٩/٢).  
وقد بيّن النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يكثر الروم في آخر الزمان ويقل العرب.  
فقد أخرج الإمام مسلم عن المستورد بن شداد أنه قال لعمر بن العاص رضي الله عنه:

" تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول؟ قال: أقول لك ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال عمرو بن العاص: إن تكن قلت ذاك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأسرع الناس كربة بعد فرّة<sup>(١)</sup>، وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف، وإنهم لأحلم الناس بعد فتنة، والرابعة حسنة جميلة، وأنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك".

وفي رواية أخرى عند مسلم: " أن المستورد بن شداد قال لعمر بن العاص رضي الله عنه: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال: لئن قلت ذلك: إن فيهم لخصالاً أربعاً، إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأوشكهم كربة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويقيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك ".

• والعرب في هذه الأوقات قلة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أم شريك -رضي الله عنها- أنها سمعت النبي ﷺ يقول: " ليفرن الناس من الدجال في الجبال، قالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل".

وقد يقال: "إن معنى: "الروم أكثر الناس". إشارة إلى انتشار اللسان الأوروبي، وبداية هجر العربية، قال بعض أهل العلم: "العربي من تكلم العربية، والأعرابي من سكن البادية وإن كان أعجمياً.

١ - الأصل في الكرّة: الإقبال في القتال، والفرّة هي: الفرار، والمعني هنا: أنهم إذا هزموا أو أصابتهم كارثة سارعوا إلى تحسين أوضاعهم ثم يعادون الكرة.

## ٢١ - كثرة القراءة وقلة الفقهاء والعلماء:

فقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يكثر القراء ويقل العلماء.

**فقد أخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "سيأتي على الناس زمانٌ تكثر فيه القراءة، ويقل فيه الفقهاء، ويُقبض العلم، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يقرأ القرآن رجالٌ لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول".**

وقد جعل عبد الله بن مسعود ؓ كثرة القراءة وقلة الفقهاء علامة على قلب الموازين واختلال الأمور.

**فقد أخرج الدارمي والحاكم عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: "كيف أنتم إذا لبستم فتنة: يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة، قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة".**

**- وفي رواية: "قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا ذهب علماءكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين".**

### تنبيه:

ومعنى قبض العلم: هو قبض من يحملون هذا العلم، وهم الفقهاء والعلماء

**كما جاء تفسير ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله ﷻ لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".**



## ٢٢- أخذ الأجرة على قراءة القرآن

قراءة القرآن عبادة وقربة، والأصل أن العبادات لا تصرف لطلب الدنيا، وإنما تبذل للآخرة وابتغاء وجه الله.

ومن علامات الساعة أنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن ويحسّنون أصواتهم في مجالس العزاء والمناسبات؛ ليأخذوا على ذلك أموالاً.

**أخرج الإمام أحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنه: "أنه مر برجل وهو يقرأ على قوم، فلما فرغ سألهم مالاً! فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ قرأ القرآن فليسأل الله تبارك وتعالى به، فإنه سيجيء قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به".** (حسنه الأرناؤوط في تعليقه على المسند).

**وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي، فقال: اقرءوا، فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح<sup>(١)</sup>، يتعجلونه ولا يتأجلونه<sup>(٢)</sup>"**

- وكان هناك ضرير يجالس سفيان الثوري، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد، فيُصَلِّي بالناس فيُكسَى ويُعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: (وأشار على الرجل الضرير) قد تعجّلت ثوابك في الدنيا، فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا وأنا جليسك؟ قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة: كان هذا جليسك أفلا نصحتة؟

- **وقال ميمون بن مهران: يا أصحاب القرآن! لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسون به الربح في الدنيا، اطلبوا الدنيا بالدنيا، والآخرة بالآخرة.**

١ - يقيمونه كما يقام القدح: والمعنى: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والشهرة، كأن أحدهم يَصِفُ أقداحاً وهي الصحون.  
٢ - يتعجلونه ولا يتأجلونه: والمعنى: يتعجلون ثوابه من الناس مالاً وثناءً، ولا يؤجلون نيل الثواب في الآخرة أجراً ورضواناً.

### تنبيه:

وتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وتعليمه من أجل عرضٍ من أعراض الدنيا أمر مذموم نهى الشرع عنه، **وَيَبِّينَ النَّبِيُّ ﷺ: " أن أول من سْتُسْعِرَ به النار: رجلٌ قرأ القرآن لا من أجل الله، ولكن من أجل السمعة وطلب الثناء عليه ."**

وهناك مَنْ يطلب القرآن للآخرة، لكن يأخذ أجره، وهذا الذي اختلف أهل العلم فيه: فمنهم مَنْ منع؛ وهو قول الحنفية، وأحد الوجوه عند الإمام أحمد، ونقله البعض عن الزهري، وإسحاق، وأما جمهور أهل العلم: فعلى الجواز، ومَنْ قال بهذا الشافعيين ومالك، والإمام أحمد في إحدى الروايات، وهو قول المتأخرين من الحنفية، وقول عطاء، وأبي قلابة، وأبي ثور، وابن المنذر، والحسن بن صالح، وإسحاق، وابن حزم، والبعغوي، والمناوي، والقرطبي، والنووي، وابن حجر، والصنعاني، والمباركفوري، وهو قول العلامة ابن باز -رحمه الله- ، وهذا هو الأرجح.

**يقول ابن حزم -رحمه الله- كما في "المطلى" (١٩٣/٩):**

"الإجارة جائزة على تعليم القرآن، وعلى تعليم العلم مشاهرةً وجملَةً، وكل ذلك جائز، وعلى الرُّقى، وعلى نسخ المصاحف، ونسخ كتب العلم؛ لأنه لم يأتِ في النهي عن ذلك نصٌّ، بل قد جاءت الإباحة كما روينا عن ابن عباس... ثم ذكر حديث اللديغ وفيه: **فقال رسول الله ﷺ: "إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله..."** الحديث، **والخبر المشهور:** "أن رسول الله ﷺ زوّج امرأةً من رجلٍ بما معه من القرآن" أي: ليعلمها إياه. اهـ

فجعل النبي صداق هذه المرأة القرآن، وخروجًا من هذا الخلاف: حبذا لو جعلنا أخذ الأجرة على حبس الوقت لا على تعليم القرآن؛ فإنه أفضل، والله أعلم.

## ٢٣- اتباع سنن الكافرين

وهذه علامة أخبر عنها النبي ﷺ، وقد وقع ما أخبر عنه النبي ﷺ وتحقق، فراح المسلمون يقلدون ويتشبهون بمن لا خلاق لهم من اليهود والنصارى.

**أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها <sup>(١)</sup> شبرا بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، ف قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك "**

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ؛ فراح شبابنا يقلدون شبابهم، ونساؤنا يقلدن نساءهم، فرأينا ما رأينا من العجب العجائب، من تبرُّج وسفور واختلاط وريا وزنا وخنا وفجور وسماع الأغاني وشرب المخدرات والخمر، بل راح شبابنا ونساؤنا يقلدوهم حتى في ترجيل الشعر، ونمص الوجه.

**وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما عند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ؓ: "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمَن؟ <sup>(٢)</sup> "**

**وعند الحاكم في "المستدرک" عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لتركبن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه "**

١ - أخذ فلان بأخذ فلان: أي سار بسيرته.  
٢ - نقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري" (٣٨٧/٢٠) عن القاضي عياض -رحمه الله- أنه قال: "الشبر والذراع ودخول الجحر تمثيل للاقتداء والتقليد لهم" قال النووي -رحمه الله- في "شرح مسلم" (٥٢٥/٥): السِّنَن.. بفتح السين والنون: وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب، التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد: الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. وخص النبي جحر الضب لشدة ضيقه، وإمعاناً في وصف من يدخل مكاناً لا يتسع له، فالتشبيه أنهم لو دخلوا في مثل ذلك المكان الضيق لوجد في أمة رسول الله ﷺ من يفعل ذلك لشدة التقليد.

أخرج الترمذي والإمام أحمد عن أبي واقد الليثي: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ". (أخرجه الترمذي (٢٢٧١) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ)

### تنبيه:

لا بأس من تقليد أهل الكفر فيما ينفع المسلمين، كالاستفادة من مخترعاتهم وتجاريهم العلمية الحديثة، والاستفادة من خبراتهم الإدارية في المصالح والمؤسسات الحكومية مما لا يخالف ديننا.

### ٢٤- أن يأكل القوي الضعيف:

وهذه علامة من علامات الساعة نراها رأي العين على مستوى الدول والأفراد.

أخرج الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكَ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لِحَاقًا <sup>(١)</sup>، قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، لَقَدْ دَخَلْتَ عَلَيَّ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا دَعَرَنِي، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمِي أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لِحَاقًا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: وَمِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: تَسْتَخْلِيهِمُ الْمَنَآيَا <sup>(٢)</sup> وَتَتَفَسَّسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ - أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ - قَالَ: دَبِي <sup>(٣)</sup> يَأْكُلُ شِدَادَهُ ضِعَافَهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ ". (السلسلة الصحيحة: ١٩٥٣)

١ - وقول النبي: "يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكَ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لِحَاقًا" دليل على أن أسرع قبائل العرب فناء هي قريش، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "أسرع قبائل العرب فناء قريش، ويوشك أن تمر المرأة بالنعل، فتقول: إن هذا نعل قُرشي".

٢ - المنايا: جمع مَنِيَّةٍ، وهو الموت، وتَسْتَخْلِيهِمُ الْمَنَآيَا: يعني أن الموت يراهم صبيداً حلواً، فيهمج عليهم.

٣ - الدبي: هو الجراد قبل أن يطير، وقال أبو عبد الرحمن: فسره رجلٌ: هو الجنادب التي لم تنبت أجنتها، والجنادب: جمع جندب، وهو الجراد.

## ٢٥- تداعي الأمم على الأمة الإسلامية:

وهذه علامة ظهرت ولا تزال تتكرر على مر العصور.

فقد أخرج أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا<sup>(١)</sup>، فَقَالَ قَائِلٌ: مَنْ قِلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ<sup>(٢)</sup> كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِهِمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ<sup>(٣)</sup>"، قِيلَ: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ."

(السلسلة الصحيحة: ٩٥٨)

ورواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان: "كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها؟ فقال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أَمِنْ قِلَّةٍ بَنَّا؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ يُلْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ، قَالُوا: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "حُبُّكُمْ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمْ الْقِتَالَ".

وأخرجه كذلك الإمام أحمد بلفظ آخر عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بَنَّا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غَنَاءً كَغَنَاءِ السَّيْلِ، يُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".

١ - القصعة: وعاء يُؤكل فيه، وكان يُتخذ من الخشب غالباً.

٢ - الغناء: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره.

٣ - الوهن: فسره النبي ﷺ بحب الدنيا وكرهية الموت.

وهذا الحديث من دلائل النبوة وعلامة من علامات الساعة، وفيه التصريح بما سيكون من تجمع الأمم ضد المسلمين، استضعافاً لهم وطمعاً فيهم، مع كثرة عدد المسلمين. وقد تداعت أمم الكفر على المسلمين كما تتداعي الأكلة على قصعة الطعام، والتداعي: أي يدعو بعضهم بعضاً، فيجيب المدعو كما في دعوة الولائم. وسبب هذا الهوان ليست القلة في عدد المسلمين، بل هم كثرة، فقد تجاوز عددهم الألف مليون، ولكنهم غثاء وزبد كالذي يحمله السيل، وهذا حال الأمة اليوم. فلا نجاة إلا بالرجوع إلى دين ربنا، ونزع الدنيا من القلوب، كما كان حال الرعيل الأول لتعود لنا السيادة والقيادة.

إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها، فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلاً إذا كانت متحدة، وفي الحديث الذي يرويه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم<sup>(١)</sup>، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة<sup>(٢)</sup>، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها،-أو قال من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً".

وواضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من أعدائها فإذا أصبح بأسها بينها، ووقعت الفرقة والاختصاص فيما بينها؛ سلط الله عليها أعداءها، وتلك نتيجة حتمية لأن قوتها في هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء بل إلى نفسها؛ فتدمر نفسها بنفسها؛ مما يطمع أعداءها فيها.

## ٢٦- الرؤيا الصادقة للمؤمن

الرؤى والأحلام في المنام لها معانٍ وأحكام، منها ما هو كاذب، وهذا من الشيطان، ومنها ما يكون أضغاث أحلام وأحاديث نفسٍ، ومنها ما هو صادق كفلق الصبح، وهي من المبشرات، كما أخبر بذلك الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري من حديث عائشة-رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:

" لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات، قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تری له ".

وصدق الرؤيا وكونها بشارة للمؤمن هي علامة على قرب الساعة ونهاية العالم،

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث: فـرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدهم ما يكره فليقم وليتفل، ولا يحدث بها الناس ".

١- والمراد بالبيضة: أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العز والملك .  
٢- والمراد بقوله: "أن لا أهلكهم بسنة عامة" أي: لا أهلكهم بقسط يعمهم، بل إن وقع قسط يكون في ناحية يسيرة، بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في "فتح الباري" (٤٥١/١٩):

"معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب، أنها تقع غالباً على صفة واضحة المعنى لا يحتاج معها إلى تعبير فلا يدخلها الكذب، بل تكون صادقة غير كاذبة؛ لأنها طابقت الواقع بخلاف الرؤى الأخرى، فإنها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا تقع في الواقع كما عبر، فتكون كاذبة غير صادقة، والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان، أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريباً كما في الحديث: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً"**. فيقل أنيس المؤمن ومعينه، فيكرم الله المؤمن بالرؤيا الصالحة التي تثبته على الحق وتبشر به. اهـ.

**وهناك احتمالات لتحديد الزمن الذي يقع فيه صدق رؤيا المؤمن:**

- ١ - أن ذلك يقع إذا فُضِّصَ العلم، وغابت معالم الشريعة بسبب الفتن والقتال، فيصبح المؤمن غريباً، فيُعَوِّضُ بالمرائي الصالحة.
- ٢ - أن ذلك يقع في زمان نبي الله عيسى عليه السلام؛ لأن أهل زمانه أصلح زمان في هذه الأمة بعد الصحابة الكرام وأصدقهم أقوالاً وأحوالاً، ورؤاهم لا تكاد تكذب. (انظر فتح الباري: ٤٥١/١٩)

## ٢٧ - زخرفة البيوت وتزيينها:

وقد بيّن النبي ﷺ أن تزيين البيوت وزخرفتها علامة من علامات الساعة،  
فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:  
**" لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يُوشُونَهَا وَشْيَ المَراحيل "**. (السلسلة الصحيحة: ٢٧٩)  
ومعنى المراحيل كما جاء في "لسان العرب" (٢٥٦/١١): هو الثوب المزين المخطط، ومفردها: "مرجل"  
ومعنى الحديث: أي أن الناس يُخَطِّطُونَ البيوت ويزخرفونها كما تُخَطِّطُ الثياب وتُزخرف.  
وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ ، ولا يعني هذا حرمة تزيين البيوت أو ستر منافذها بالستائر، ولكن  
المحرم هو الإسراف في هذا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٤١]

## ٢٨- ارتفاع مباني مكة:

أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة ارتفاع المباني فوق جبال مكة، وصدق الحبيب النبي ﷺ فقد وقع كما أخبر.

**فقد أخرج ابن أبي شيبة بسنده إلى يعلى بن عطاء عن أبيه قال: " كنت آخذًا بلجام دابة عبد الله بن عمرو، فقال: كيف أنتم إذا هدمتم البيت فلم تدعو حجرًا على حجر؟! قالوا: ونحن على الإسلام؟! قال: وأنتم على الإسلام، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم يُبنى أحسن ما كان، فإذا رأيت مكة قد بعجت كظائم<sup>(١)</sup>، ورأيت البناء يعلو رعوس الجبال، فاعلم أن الأمر قد أظلك "**

## ٢٩- زخرفة المساجد والتباهي بها:

الأصل أن المساجد دور لعبادة الله ﷻ؛ يبينها العبد احتساباً للأجر والثواب، لكن في آخر الزمان سيبنى الناس المساجد ويزخرفونها، ويتباهى كل شخص بجمال وزخارف المسجد الذي بناه، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ وعَدَّه من أشراط وعلامات الساعة.

**فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد "** (صحيح الجامع: ٧٤٢١)

**قال البخاري: قال أنس رضي الله عنه: " يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً "** والمقصود بالتباهي بها هو العناية بزخرفتها.

**قال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في "عون المعبود" (١١٨/٢):**

**" حتى يتباهى الناس في المساجد "** أي يتفاخر في شأنها أو بنائها، يعني يتفاخر كل أحد بمسجده، ويقول: مسجدي أرفع أو أزين أو أوسع أو أحسن؛ رياء وسمعة واجتلاباً للمدحة.

**قال ابن رسلان:** "هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لإخباره ﷺ عما سيقع بعده، فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثر من الملوك والأمراء في هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس، بأخذهم أموال الناس ظلمًا وعمارتهن بها المدارس على شكل بديع، نسأل الله السلامة والعافية. اهـ.

١- وقوله ﷺ: "بعجت كظائم" أي: حُفرت قنوات، وهي الأنفاق الأرضية تحت جبال مكة وتحت أرضها".



وأخرج أبو داود بسند صحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ"**.

قال الإمام الخطابي -رحمه الله- كما في "معالم السنن" (١/١٢١): التشييد: رفع البناء وتطويله.

وقال خير الدين وانلي - حفظه الله - في كتابه "المسجد في الإسلام" (٢٥):

"ومما ابتلي به المسلمون في بناء المساجد رفع السقوف الأمتار العديدة أكثر من المطلوب للتهوية، مما يحول دون تنظيفها، كما يحول دون دفئها في الشتاء، هذا إلى ما في رفع السقوف من نفقات لا طائل تحتها، كان بالإمكان بناء مسجد آخر بها".

### • وقد فهم الصحابة مقصود الشرع وحذروا من زخرفة المساجد

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: **"إِذَا زَخَرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالْدَمَارُ عَلَيْكُمْ"**.

(أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥٨٥)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قَالَ: **"لَتَزَخَرَفْنَهَا<sup>(١)</sup> كَمَا زَخَرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى<sup>(٢)</sup>"**.

### ولعل النهي عن زخرفة المساجد يرجع لأمر منها: -

- ١ - أن الزخرفة سبب للمباهاة والمفاخرة وطلب السمعة والرياء، كما في حديث الباب.
- ٢ - أن هذا من الإسراف المنهي عنه، والأموال التي جُمِعَت لبناء المسجد ما ينبغي أن تُصرف في الزخرفة، فهذا تضییع للأمانة؛ لأنه ليس في الزخرفة مصلحة شرعية، بل جاء النهي عنها.
- ٣ - أن الزخرفة والنقوش فتنة للناس ومشغلة لهم في صلاتهم.

١- في "النهاية": الزخرف: النقوش والتصاوير بالذهب. قال الخطابي: معنى قوله: "لتزخرفنها": "لتزيننها"، وأصل الزخرف: الذهب يريد تمويه المساجد بالذهب ونحوه، ومنه قولهم: "زخرف الرجل كلامه" إذا موهه وزينه بالباطل. والمعنى: أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرّفوا وبدّلوا وتركوا العمل بما في كتبهم، يقول: "فأنتم تصيرون إلى مثل حالها إذا طلبتم الدنيا بالدين، وتركتم الإخلاص في العمل، وصار أمركم إلى المراءات بالمساجد والمباهاة في تشييدها وتزيينها".  
٢- وقوله: "كما زخرفت اليهود والنصارى" (قال علي القاري: وهذا بدعة؛ لأنه لم يفعله صلى الله عليه وسلم، وفيه موافقة أهل الكتاب).

ويشهد لهذا قول عمر رضي الله عنه عندما أمر ببناء المسجد: "أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمَّرَ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ". (أخرجه البخاري).

وأيضاً ثبت في "الصحيحين" من حديث عائشة -رضي الله عنها-: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً. فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأَتُونِي بِأَنْبِجَانِيَةِ أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آتِئًا عَنْ صَلَاتِي".  
قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

"ويستنبط من هذا الحديث كراهية كل ما يشغل عن الصلاة من الأصباغ والنقوش ونحوها... اهـ  
وقال النووي -رحمه الله-: "وفي هذا الحديث كراهية تذويق محراب المسجد وحائطه ونقشه وغير ذلك من الشاغل، لأن النبي ﷺ جعل العلة في إزالة الخميصة هذا المعنى.... اهـ  
فعمارة المساجد الحقيقية لا تكون إلا بالطاعة والصلاة والقرآن وحلِّق العلم... وغير ذلك من ألوان الطاعة، ولا يفهم من ذلك عدم الاهتمام ببناء المساجد، أو بنائها على أشكال مُزريّة... لا... إنما النهي عن الزخرفة والإسراف.

### ٣٠- اتخاذ المساجد طُرُقًا:

وهذا من علامات الساعة.

فقد أخرج ابن خزيمة والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالْمَسْجِدِ لَا يُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ".  
- وفي رواية: "أَنْ يَجْتَازَ الرَّجُلُ بِالْمَسْجِدِ فَلَا يُصَلِّي فِيهِ".

وعند الطبراني: "وحتى تتخذ المساجد طُرُقًا، فلا يُسجد لله فيها".

وأخرجه الطيالسي بلفظ: "إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا".

وهذا ليس فيه تعظيم لشعائر الله، فالمساجد ما جُعِلت لمرور الناس من خلالها، وإنما جُعِلت للعبادة. ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل وصل الأمر في كثير من بلاد المسلمين أن أصبحت المساجد آثَارًا سياحية، يدخلها الكُفَّار ونساؤهم كاسيات عاريات، بل وربما تتعطل الصلاة حتى تنتهي تلك الزيارة... فإننا لله وإنا إليه راجعون.

### ٣١- كثرة الزلازل:

وهذه علامة من علامات الساعة والتي تدل على اقترابها

**فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل "**

والمقصود بكثرة الزلازل قبل قيام الساعة شمولها ودوامها، وهذا ما نراه رأي العين، ونسمع به في كثير من بلدان العالم.

**فقد أخرج الإمام أحمد والدارمي عن سلمة بن نفيل السكوني قال: " كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ، إذ قال له قائل: يا رسول الله، هل أتيت بطعام من السماء، قال: نعم، قال: وبماذا، قال: بسخنة، قالوا: فهل كان فيها فضل عنك؟ قال: نعم، قال: فما فعل به؟ قال: رفع، وهو يوحى إليّ أني مكفوت غير لاثب فيكم، ولستم لاثبين بعدي إلا قليلاً، بل تلبثون حتى تقولوا: متى؟ وستأتون أفناداً يُفني بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل "**

**وأخرج أبو داود عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك "**

#### تنبيه:

قد تكون هذه الزلازل عقوبة للكفار أو الفجار وعذاباً لهم، وهي للأتقياء الأنقياء رحمة وتكفيراً للسيئات.

**فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " أمّتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة، جعل الله عذابها في الدنيا: القتل والزلازل والفتن "**

وحديثنا عن الزلازل ليس لكونها رحمة أو نقمة، إنما كلامنا على أن كثرتها علامة من علامات الساعة.

## ٣٢- كثرة موت الفجأة:

وهي من العلامات التي ظهرت بكثرة في عصرنا، وكان قديماً لا تجد مثل هذا، فيمرض المريض ويشعر بقرب الأجل، فيكتب وصيته، ويودع أهله، ويوصي أولاده، ويقبل على ربه، ويتوب مما سلف. وعند نزول الموت يردد الشهادة ليُخْتَمَ له بها - وهذا في غالب الأحوال - .  
أما في هذا الزمان، فيخرج الإنسان من بيته ويخاف هذا المسكين ألا يرجع إليه، لكثرة موت الفجأة، وهذه علامة من علامات الساعة.

**فقد أخرج الطبراني في "الصغير والأوسط" والضياء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة".** (صححه الألباني في الصحيحة: ٢٢٩٢)  
**وأخرج الطيالسي بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: "إن من أشرط الساعة أن تتخذ المساجد طُرُقاً، وأن يظهر موت الفجأة".**

وهذا ما نراه الآن، من كثرة الموت بسبب السكتة القلبية، وكذلك يُفاجئ الموت كثيراً من الناس بلا سبب، ومنهم شباب في ريعان شبابهم، وقد رأينا هذا رأي العين.

وهذا الأمر يجعل الإنسان يحاول دائماً أن يكون على أهبة الاستعداد، فيكون دائماً على طاعة الله ﻋَلى، بعيداً عن المعصية... فإنه لا يدري متى يأتيه الموت.

**كما قال بعضهم:**

فعسى أن يكون موتك بغتة

اغتنم في الفراغ فضل ركوع

ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

كم صحيح رأيت من غير سقم

### تنبيه:

وموت الفجأة علامة على غضب الله

فقد أخرج أبو داود والإمام أحمد عن عبيد الله بن خالد السلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

" **موت الفجأة أخذة أسف** " . (صحيح الجامع: ٦٦٣١)

أي: أخذه غضب من الله تعالى؛ وذلك لأن فيه حرمان من الوصية، وترك الاستعداد للميعاد بالتوبة وصالح العمل.

وقد فرّق ابن مسعود رضي الله عنه بين موت المؤمن فجأة وموت غيره فقال: " **موت الفجأة راحة للمؤمن، وأسف على الفاجر** " .

فالمؤمن بهذا الموت خرج من سجن الدنيا إلى سعة الآخرة، وارتاح من أعباء وغُصص الحياة، وخرج من دار العاصين إلى جوار رب العالمين.

وهذا ما قصده النبي ﷺ ففي "صحيح البخاري ومسلم": " **أنه قيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً قد مات، فقال: مستريح أو مُستراح منه، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله ﷻ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب** " .

### ٣٣ - كثرة الشرك وانتشاره

مما لا شك فيه أن الشرك خطره عظيم، وهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى إذا مات صاحبه عليه، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]

وبين رب العالمين أن الشرك محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

والأدلة في القرآن على الترهيب من الشرك كثيرة، ولو لم يكن منها إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] لكفى. وجاءت آيات أخرى تأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به، ومنها: -

قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

ولا نكاد نتلو سورة من القرآن إلا ونجد من الآيات والتي تُرهِّب من الشرك وتحضُّ على التوحيد. وكذلك بالنسب للسنة النبوية، فقد حذر خير البرية من الشرك، وجعله من أعظم الذنوب فقد أخرج البخاري ومسلم:

"أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك".

وأخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله، والسحر...". وذكر الحديث.

ولأهمية الأمر كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على أصحابه ألا يشركوا بالله،

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً...". فذكر الحديث.

ومع هذا الترهيب من خطر الشرك، إلا أن كثيراً من الناس وقعوا فيه، ولنذكر على ذلك أمثلة من ألوان الشرك، والتي وقعت فيها الأمة المحمدية، ومنها: -

- متابعة أشخاص يُحلّون ما حرم الله، أو يُحرّمون ما أحل الله.
- دعاء غير الله أو الاستعانة به في أمر لا يقدر عليه إلا الله.
- التقرب لغير الله: من شمس أو قمر أو نجم أو كوكب أو ملك أو شجر أو حجر أو ميت أو غائب، بأي نوع من أنواع القربات، كالسجود أو الذبح، أو الاستعانة لدفع ضرر أو جلب مصلحة... ونحو ذلك ممّا لا يطلب إلا من الله ﷻ، أو الذهاب إلى العرّافين والكهّان والدجّالين، ومن يخط الرمال، ويضرب الحصى، ويقرأ الفنجان، ويفتح المندل، وغيرهم ممّن يدّعون علم الغيب.
- الحلف بغير الله، والتشاؤم، والرياء.
- التعلّق بالتمائم، والأحجار، والأشجار، والحظّاة، والخرزة الزرقاء، وقرن الفلفل الأحمر، ورشّ الملح في المناسبات، وتعليق الحذاء في السيارة، وحدوة الحصان، ونجم البحر، وخمسة وخميسة... وغير ذلك من ألوان الشرك الذي عمّ وطمّ وانتشر في الأمة الإسلامية انتشار النار في الهشيم، وهذا الشرك مع مرور الزمان والابتعاد عن زمن النّبوة يزداد خطره ويتفاقم أمره شيئاً فشيئاً، حتى يصل لدرجة أن الناس سيعبدون الأوثان مرة أخرى كما كان قبل مجيء الإسلام، وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ

فقد أخرج الترمذي وأبو داود والحاكم عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ."

(صحيح الجامع: ٧٤١٨)

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ إِلَيَاتُ نِسَاءٍ دُوسَ حَوْلَ ذِي الْخُلْصَةِ<sup>(١)</sup>."

١ - ذو الخُلصة: طاغية دوس الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية.

### ٣٤- ترك الحكم بما أنزل الله:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فخرج علينا من يقول: "نعم له الخلق، لكن ليس له الأمر"، فراحوا يحكمون بغير ما أنزل الله، من القوانين الفرنسية والبريطانية، وهي قوانين وضعية من صنع البشر يعتربها النقص، وتركوا حكم الله تعالى، وصدق الله ﷻ حيث قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

والحكم بغير ما أنزل الله علامة من علامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني عن أمانة الباهلي رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: "لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُروَةٍ، فكلما انتقضت عروة تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها، وأولهن نقضاً: الحكم، وآخرهن: الصلاة".

ووقع ما أخبر به النبي ﷺ، فتجد أن كثيراً من البلدان الإسلامية لا تحكم بشرع رب البرية، إلا في النذر اليسير من قوانين الأحوال الشخصية، من زواج أو طلاق أو ميراث، أما المعاملات التجارية والعقوبات الجنائية والحدود الشرعية فيحكمون بالقوانين الوضعية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### ٣٥- كثرة القتل:

فمن علامات الساعة التي ذكرها النبي ﷺ كثرة القتل  
فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ".

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما - قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُزْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ، بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ".

وعند البخاري: "بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرْجِ، يَزُولُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيُظْهِرُ فِيهَا الْجَهْلُ".



وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصَ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ، الْقَتْلُ ". (أخرجه الشيخان وأبو داود)

وعند البخاري وأحمد وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ ".

والعلة في ظهور القتل وكثرة انتشاره، ربما يفسره ما جاء في نفس الحديث، وهو ظهور الفتن وكثرتها، مع قلة العلم وانتشار الجهل، فزمنٌ هذا حاله مع انتشار الحروب واستخدام الأسلحة المدمرة، لا شك أنه سيكثر القتل، خصوصاً مع وجود رقة في الدين، وخفة في العقول، وكثرة المعاصي.

وهذا مثال بسيط يدل على ما سبق: أنه عندما أُقْبِيتْ قنبلة "هيروشيما"، قتلت في التو واللحظة ١٤٠,٠٠٠ شخص، هذا بجانب من مات بعد ذلك، وكذلك الآثار التي خلفتها.

## • إحصائية لقتلى بعض الحروب:

فالإحصاءات للقتل خلال المائة سنة الأخيرة منذ ١٩٠٧ إلى ٢٠٠٧م تقول الآتي: هناك ( ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ) ربع بليون إنسان قتلوا خلال المائة سنة الماضية من غير المسلمين بيد غير مسلمين، وفي نفس المرحلة هناك ( ١٣٠٠,٠٠٠ ) مليون وثلاثمائة ألف قتيل من المسلمين قتلوا بيد مسلمين. وهناك ( ٦٠٠٠,٠٠٠ ) ستة ملايين مسلم قتلوا بيد مسلمين وغير مسلمين.

ويمكن تفنيد هذه الأرقام على النحو الآتي :-

- الحرب العالمية الأولى: مسيحيون ضد مسيحيين قتل فيها ( ١٥,٠٠٠,٠٠٠ ) خمسة عشر مليون إنسان قتيل.
- الحربة الأهلية الروسية: شيوعيون ويهود ضد مسيحيين ( ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ) عشرة ملايين إنسان قتيل.
- الحرب الأهلية الإسبانية: كاثوليك ضد كاثوليك ( ١,٢٠٠,٠٠٠ ) مليون ومائتا ألف إنسان قتيل
- الاتحاد السوفيتي إبان الثورة الصناعية: شيوعيون ضد شيوعيين ومسيحيين ( ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ) عشرون مليون إنسان قتيل.
- الحرب الهندية الصينية الأولى: مسيحيون ضد هندوس ( ١,٢٠٠,٠٠٠ ) مليون ومائتا إنسان قتيل.
- الحرب العالمية الثانية: مسيحيون ضد مسيحيين وبوذيين ( ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ ) خمسة وخمسون مليون إنسان قتيل.. ويمكن تقسيمها إلى الآتي: -القصف الأمريكي لألمانيا ( ٦٠٠,٠٠٠ ) ستمائة ألف إنسان قتيل.
- القصف الأمريكي لرومانيا ( ٥٠,٠٠٠ ) خمسون ألف قتيل.
- القصف الأمريكي لليابان ( ١,٥٠٠,٠٠٠ ) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتيل.

- هتلر ألمانيا بالحرب العالمية الثانية: مسيحيون ضد يهود ( ٤,٠٠٠,٠٠٠ ) أربعة ملايين إنسان قتل في مخيمات الموت و ( ١,٣٠٠,٠٠٠ ) مليون وثلاثمائة ألف يهودي قتلوا بالمذابح الجماعية.
- يابانيون ضد صينيين ( ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ ) ثلاثة وعشرون مليون إنسان قتل
- يابانيون ضد فيتناميين وفلبينيين وأندونيسيين وبورميين ( ٧,٠٠٠,٠٠٠ ) سبعة ملايين إنسان قتل.
- حرب التصفيات داخل الاتحاد السوفيتي: روسي ضد روسي ( ٤,٠٠٠,٠٠٠ ) أربعة ملايين إنسان قتل.
- ايطاليون ضد أثيوبيين وليبيين ويونانيين وإيطاليين ( ١,٤٠٠,٠٠٠ ) مليون وأربعمائة ألف إنسان قتل.
- يوغسلافيا ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون إنسان قتل -تشيكوسلوفاكيا ( ٢,٠٠٠,٠٠٠ ) مليوناً إنسان قتل.
- صينيون ضد صينيين ( ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ ) ثلاثة وأربعون مليون إنسان قتل.
- الكنفو في أفريقيا: أفريقي ضد أفريقي ( ١,٢٠٠,٠٠٠ ) مليون ومائتا ألف قتل.
- الثورة المكسيكية كاثوليك ضد كاثوليك ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون إنسان قتل.
- آرمين ( ١,٥٠٠,٠٠٠ ) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتل.
- الحرب الكورية ( ٣,٠٠٠,٠٠٠ ) ثلاثة ملايين إنسان قتل.
- رواندا.. هوتسو ضد توتسي ( ١,٥٠٠,٠٠٠ ) مليون ونصف مليون إنسان قتل.
- الحرب الفيتنامية ( ٣,٠٠٠,٠٠٠ ) ثلاثة ملايين إنسان قتل.
- أثيوبيا ( ١,٥٠٠,٠٠٠ ) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتل.
- نيجيريا ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون إنسان قتل -موزمبيق ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون إنسان قتل.
- كمبوديا ( ١,٥٠٠,٠٠٠ ) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتل.
- السودان ( ٢,٥٠٠,٠٠٠ ) مليونان وخمسمائة ألف إنسان قتل.
- أنقولا: كاثوليك ضد غير الكاثوليك ( ٦٠٠,٠٠٠ ) ستمائة ألف إنسان قتل.
- الصومال ( ٣٠٠,٠٠٠ ) ثلاثمائة ألف إنسان ماتوا وغالبيتهم من المجاعة.
- زائير ( ٢٠٠,٠٠٠ ) مائتي ألف إنسان قتل بفعل القتل الجماعي لقبيلة الهوتسو.
- كولمبيا: كاثوليك ضد الشوعيين ( ٥٠,٠٠٠ ) خمسون ألف إنسان قتل.

### **الذين قتلوا وكان المسلمون طرفاً في القتال:**

- إسرائيل عام ١٩٤٨ يهود ضد مسلمين ( ٣,٠٠٠ ) ثلاثة آلاف يهودي قتل مقابل ( ١١,٠٠٠ ) أحد عشر ألف مسلم قتل.
- حرب السويس يهود ضد مسلمين ( ١٨٠ ) مائة وثمانون يهودياً قتلوا ( ٤٠٠ ) أربعة آلاف مسلم قتل.
- حرب الأيام الستة ١٩٦٧ يهود ضد مسلمين ( ٧٥٠ ) سبعمائة وخمسون يهودياً قتلوا مقابل ( ١٦٠٠٠ ) ستة عشر ألف مسلم قتل.

- حرب الاستنزاف المصرية: يهود ضد مسلمين ( ١٠٠٠ ) ألف قتيل مقابل ( ٥٠٠٠ ) خمسة آلاف مسلم قتل.
- حرب ١٩٧٣: يهود ضد مسلمين ( ٢٥٠٠ ) ألفان وخمسمائة يهودي قتل مقابل ( ١٥٠٠٠ ) مسلم قتل.
- الإسرائيليون ضد الفلسطينيين بعد الانتفاضة الأولى: يهود ضد مسلمين ( ١٠٠٠ ) ألف يهودي قتل مقابل ( ٥٠٠٠ ) خمسة آلاف مسلم قتل.
- الإسرائيليون ضد الفلسطينيين الانتفاضة الثانية: يهود ضد مسلمين ( ٣٥٠ ) ثلاثمائة وخمسون يهودي قتل مقابل ( ٥٥٠٠ ) خمسة آلاف وخمسمائة مسلم قتل.
- الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٠-١٩٩٠) مسيحيون ضد مسلمين ( ١٥٠,٠٠٠ ) مائة وخمسون ألف إنسان قتل.
- إسرائيل ضد لبنان ١٩٨٢ يهود ضد مسلمين ( ١٨٠٠٠ ) ثمانية عشر ألف إنسان قتل.
- العراق: (نظام صدام حسين) مسلم ضد مسلم ( ٣٠٠,٠٠٠ ) ثلاثمائة ألف إنسان قتل.
- البوسنة والهرسك غالبية القتلى من المسلمين ( ١٧٥,٠٠٠ ) مائة وخمسة وسبعون ألف إنسان قتل.
- الحرب العراقية الإيرانية: مسلم ضد مسلم ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون إنسان قتل.
- الجزائر: مسيحيون ضد مسلمين ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون مسلم قتل.
- أفغانستان سوفيت ضد مسلمين ( ٢,٠٠٠,٠٠٠ ) ميلونا مسلم قتل.
- أحداث الحادي عشر من سبتمبر معظم القتلى من المسيحيين ( ٣٠٠٠ ) ثلاثة آلاف قتل.
- الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان مسيحيون ضد مسلمين ( ٣٣٠٠ ) ثلاثة آلاف وثلاثمائة. أمريكيون ٩٨% مسيحيون مقابل ( ١,٠٠٠,٠٠٠ ) مليون مسلم قتل.
- أحداث الجزائر مسلم ضد مسلم ( ٦٠,٠٠٠ ) ستون ألف مسلم قتل.

### **وبالنظر التحليلي لهذه الأرقام يمكن الحصول على صورة عامة مفادها الآتي:-**

- أن جميع المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين خلال آخر مائة سنة أي منذ عام ١٩٠٧ - ٢٠٠٧ م هو ( ١,٤٠٠,٠٠٠ ) مليون وأربعمائة ألف مسلم.
  - غير المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين هم ( ٢٥,٥٠٠ ) خمسة وعشرون ألف وخمسمائة إنسان قتل.
  - المسلمون الذين قتلوا بيد غير المسلمين ( ٤,٥٠٠,٠٠٠ ) أربعة ملايين وخمسمائة ألف إنسان قتل.
  - غير المسلمين الذين قتلوا غير مسلمين خلال المائة سنة الماضية هم ( ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ) ربع بليون إنسان.
- وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على كثرة القتل وانتشاره، وعلى وقوع هذه العلامة وما زالت تتكرر

وسيكثر القتل بين أبناء المسلمين حيث يقتل بعضهم بعضاً، كما أخبر بذلك النبي ﷺ. فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

"حدثنا رسول الله ﷺ إن بين يدي الساعة لهرجاً، قال: قلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: القتل، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضهم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه، وذا قرابته! فقال بعض القوم: يا رسول الله، ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: لا. تنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف هباء من الناس لا عقول لهم، ثم قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: وإيم الله، إني لأظنها مُدركتي وإياكم، وإيم الله، ما لي ولكم منها مخرج، إن أدركتنا فيما عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرج كما دخلنا فيها".

- وفي رواية أخرى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنما نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً، قال: إنه ليس بقتل المشركين، ولكن قتل بعضهم بعضاً، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويتخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء". (أخرجه أحمد وابن ماجه) (السلسلة الصحيحة: ٤/٢٤٨)

وتعظم البلية حين يقتتل المسلمون، ولا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ".

• وقد أخبر النبي ﷺ: "أن القاتل والمقتول في النار" هذا إذا كان القتال من أجل الدنيا، وكان كل واحد ينوي قتل أخيه.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَا قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار". (أخرجه مسلم)

والهرج: الفتنة والاختلاط، وفسره النبي ﷺ بالقتل.

### ٣٦- انتشار الزنا وكثرته:

إن الزنا من المُحرّمات الواضحة التي نهى عنه رب العالمين، فقال في كتابه الكريم:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]

ومع هذا تجد أن كثيراً منّا تجرّأ على هذه الفاحشة ووقع فيها، وهذه علامة من علامات الساعة، أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قَالَ: لَأُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُظْهَرَ الزِّنَى، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيَمُ الْوَاحِدُ ".

وهذه الأشياء الموجودة في الحديث، قد يقع بعضها في زمن من الأزمان، أو مكان من الأماكن، ولكن من علامات الساعة اجتماعها واستحكامها.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري" (١/١٧٩):

وكان هذه الأمور الخمسة خُصّت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي الدين؛ لأن رفع العلم يخل به، والعقل؛ لأن شرب الخمر يخل به، والنسب؛ لأن الزنا يخل به، والنفس والمال؛ لأن كثرة الفتن تخل بهما.

قال الكرمانى: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنًا بخراب العالم؛ لأن الخلق لا يتركون هملاً، ولا نبي بعد نبينا - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين -، فيتعين ذلك.

وقال القرطبي -رحمه الله- في "المفهم":

" في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت، خصوصاً في هذه الأزمان".

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سيأتي على الناس سنوات خدعات... فذكر الحديث وفيه: "أنه قال: وتشيع فيها الفاحشة". (صححه الألباني)

والأمر لم يقتصر على انتشار الزنا فحسب، بل لقد وصل الأمر إلى استحلال الزنا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فقد أخرج البخاري تعليقاً، وأبو داود والطبراني والبيهقي عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ - أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه - وَاللَّهِ مَا كَذَّبَنِي، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ<sup>(١)</sup> وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ<sup>(٢)</sup> يَرْوُحُ عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup> بِسَارِحَةٍ لَهُمْ<sup>(٤)</sup>، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمْ<sup>(٥)</sup> اللَّهُ، وَيَضَعُ الْعِلْمُ<sup>(٦)</sup>، وَيَمْسَخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ<sup>(٧)</sup>".

١- الحِر: الفُرُوج، وهي جمع، مفردُها جِر - بكسر الحاء - والمراد من الحديث: انتشار الزنا ودواعيه، من شرب خمر وآلات عزف... ونحو ذلك، ولكثرتها وانتشارها حتى يالفها الناس، فتصبح كأنها مباحة.  
٢- عِلْم: هو الجبل، وقبده بعضهم: بالجبل العالي، ومنه قوله تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الرحمن: ٢٤]  
٣- يَرْوُحُ عَلَيْهِمْ: أي يروح عليهم الراعي.  
٤- بِسَارِحَةٍ لَهُمْ: هي الغنم التي تسرح في النهار في مراعيها، وتعود ليلاً لمكانها.  
٥- فَيُبَيِّتُهُمْ اللَّهُ: يهلكهم الله ليلاً.  
٦- وَيَضَعُ الْعِلْمُ: أي يوقع الجبل العالي على رؤوسهم.  
٧- ضعف ابن حزم في "المحلى" وغيره هذا الحديث بالانقطاع؛ لأن البخاري لم يذكر من حدثه به، وإنما قال: "وقال هشام بن عمار: ورد عليه العلماء من وجوه: أحدها: أن البخاري لقي هشامًا وسمع منه، فإذا روي عنه معنعناً حُمِلَ على الاتصال.  
الثاني: أن الثقات رووه عنه موصولاً، فقد وصله أبو داود دون قوله: "والمعازف" ووصله الطبراني والبيهقي بمثل لفظ البخاري.  
الثالث: قد صح الحديث من غير طريق هشام أيضاً كما نبه الإسماعيلي. (انظر تهذيب السنن: ٢٧٠/٥ - ٢٧٢)، (إغاثة اللهفان: ٢٥٨/١ - ٢٦٠) (فتح الباري: ١٠/٥٢ - ٥٧)، (جامع الأصول مع التعليق: ٤٢/١٠ - ٤٣ و ٤١٧). (انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم: ٩١)

ولم يقتصر الأمر عند انتشار الزنا واستحلاله فحسب، بل تعدى إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث يفترش الرجل المرأة في الطريق، ويجاهر بهذه المعصية، وهذا كله من علامات الساعة.

فقد أخرج ابن حبان والبخاري عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا<sup>(١)</sup> في الطريق تسافد الحمير، قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: نعم ليكونن".

وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ في حديثه الطويل عن الدجال ويأجوج ومأجوج وفيه: " ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمير<sup>(٢)</sup>، فعليهم تقوم الساعة".

(شرح النووي على مسلم: ٧٠/١٨)

وأخرج الحاكم أبو يعلى الموصلي بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَفْنَى هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشُهَا فِي الطَّرِيقِ، فَيَكُونُ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ: لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ". (الصحيحة: ٢٤٥/١)

تنبيه:

هناك حديث ضعيف جداً أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحدٌ لله فيه حاجة، وحتى توجد المرأة نهاراً جهاً تنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحدٌ ولا يغيره، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو نحييتها عن الطريق قليلاً، فذاك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم".

(استنكره الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف جداً).

١ - السفاد: هو نزو الذكر على الأنثى، كما جاء في "اللسان العرب"، وقد وقع ذلك في بعض دول الكفر، وظهرت بوادره في بلاد الإسلام.

٢ - يتهارجون تهارج الحمير: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، يُقال: "هرج زوجته" أي: جامعها.

### ٣٧- استحلال الخمر:

وقد مر بنا في الحديث السابق: أنه سيكون في آخر الزمان أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، يمسخهم الله ﷻ قردةً وخنازير إلى يوم القيامة.

فقد أخبر النبي ﷺ أنه سيأتي أناس يستحلون الخمر ويسمونها بغير اسمها، وهذا من علامات الساعة.

- فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لا تقوم الساعة - أو من أشراط الساعة -: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخمر، ويفشو الزنى، ويذهب الرجال، ويبقى النساء، حَتَّى يَكُونَ لِحَمْسِينَ امْرَأَةً قَيْمٌ وَاحِدٌ " وفي رواية: "يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء".
  - وأخرج الترمذي عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ <sup>(١)</sup> وَالْمَعَازِفُ وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ".
  - وعند الإمام أحمد في "مسنده" عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لِيَشْرِبَنَّ أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي الخمر، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا " (صحيح بشواهده).
  - ورواه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبيهقي عنه بلفظ: " لِيَشْرِبَنَّ أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي الخمر يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، وَيُضْرَبُ عَلَى رِعْوَسِهِم بِالْمَعَازِفِ وَالْقَيْنَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ قُرْدَةً وَخَنَازِيرَ".
- (قال ابن القيم: إسناده صحيح، ورمز السيوطي لصحته)
- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عباد بن الصامت ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَتَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الخمر بِاسْمٍ يَسْمُونَهَا إِيَّاهُ". (صححه الألباني، وقال ابن حجر: سنده جيد).
- واستَحِلَّتْ الخمر لقلة الإيمان أو لذهابه، لأنه مَنْ مَلَأَ الْإِيمَانَ قَلْبَهُ لَا يُتَّصَرُّ مِنْهُ فَعْلٌ هَذَا.
- ولذلك جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخمر حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ".

١ - الْقَيْنَاتُ: جمع قينة، وهي المغنّية.



قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "إذا شرب المؤمن الخمر يُنزع منه الإيمان هكذا، وشبك ابن عباس بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه الإيمان هكذا، وشبك بين أصابعه".  
ورفع أبو هريرة رضي الله عنه يده مرة على رأسه وقال:

"يُنزع منه الإيمان، فيصبح على رأسه كالظل، فإن تاب وعاد يُعاد إليه الإيمان هكذا".

(أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة: ص ٤٧٢).

وأخرج النسائي بسند صحيح موقوف من حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ:

"اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلِقْ مَعَ جَارِيَتِيهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ، عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِنَقْعِ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِنِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، فَقَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرَمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا - وَاللَّهِ - لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ".

فلا يجتمع إيمانٌ وحب الخمر في قلب عبدٍ أبدًا، ولذلك تجد أن الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ لما حرَّم الخمر، نادى على

أهل الإيمان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، لأن أهل الإيمان هم الذين سيستجيبون لهذا النداء.

### ٣٨- استحلال المعازف:

وهذا مما عمّت به البلوى في هذا الزمان، وقد مر بنا حديث النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

" لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ (١) وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ (٢)، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ، وَيَمْسَخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ".

فهؤلاء الذين استحلوا هذه المحرمات يهلكهم الله ﷻ، ويدكدك عليهم الجبل، ويوقعه عليهم، ويمسخ آخرين منهم قردة وخنازير.

وأخرج الطبراني في "الكبير" عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ، قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَارِفُ وَالْقَيْنَاتُ " . (صحيح الجامع: ٣٦٦٥).

ومعنى استحلالهم لهذه المحرمات أحد شيئين:

- ١ - اعتقاد جِلّ هذه الأمور وأنها ليست حراماً.
- ٢ - أو اعتياد فعلها وانتشارها بين الناس، حتى تُصْبَحَ لا تنكرها الألسن ولا القلوب، فلا يستشعر الناس حرمتها أثناء فعلهم لها.

١- الحرّ: الزنا.  
٢- المعازف: هي آلات اللهو والطرب.

### ٣٩- انتشار الربا وعدم المبالاة بمصدر المال:

وهذه علامة من علامات الساعة، ودليل ذلك ما أخرجه الطبراني في "الأوسط" من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "بين يدي الساعة يظهر الربا".

(الصحيحة: ٢/٣٤١٥)

والظهور هنا بمعنى الكثرة والانتشار.

ومن المعلوم أن الربا حرام، لعن الله آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقد توعد الله ﷻ من يتعامل بالربا بحربٍ لا طاقة له بها؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]

• والنبي ﷺ حذر من التعامل بالربا، ولعن من فعل ذلك،

فقد أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" من حديث جابر رضي الله عنه قال:

"لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم فيه سواء">

وبيّن النبي ﷺ أن أكل الربا أشد من الزنا.

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية".

وعند الطبراني في "الأوسط" من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه".

وعند الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم".

**فاحذر أخي الحبيب...** من الربا، فإنه وبال وشقاء، وضنك وبلاء، وعاقبته إلى قلة ونقصان،

كما جاء عند الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: "ما أحد أكثر من الربا؛ إلا كان عاقبته أمره إلى قلة". (صحيح الجامع: ٥٥١٨)

ورغم ذلك كله، فقد انتشرت التعاملات الربوية، وغيرها من المعاملات المحرمة، طلباً لزيادة المال.

**أحبتي في الله...** لابد أن نعلم جميعاً أن الرزق يطارد الإنسان ويلاحقه، كما يطارده ويلاحقه الأجل  
فقد أخرج أبو نعيم في "الحلية" عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

**"لَوْ أَنَّ رَجُلًا هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ، كَهَرَبِهِ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ".**

لكن هناك من هو في شك من هذا، فراح يطلب الرزق بمعصية الله، ولا يبالي أَمِنْ حرام أم من حلال؟  
وقد وقع هذا مصداقاً لما قاله رسول الله ﷺ.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

**"لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالُ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ....".**

وصدق الحبيب النبي ﷺ، فلقد رأينا هذا الزمان الذي انتشر فيه بيع الدخان والخمر وبيع ملابس النساء  
التي تظهر العورة، أو التعامل بالربا، بل إن هناك مَنْ يتاجر بأعراض النساء ويأكل من هذا المال.

فهؤلاء نذكرهم بقول النبي ﷺ كما في "مسند الإمام أحمد": **"كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ  
أُولَى بِهِ".** (صحيح الجامع: ٤٥١٩).

وهؤلاء نذكرهم أيضاً بأن الرزق لا يُنال إلا بطاعة الله

فقد أخرج ابن حبان والحاكم بسند حسن عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ  
فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، وَتَسْتَوْفِيَ أَجْلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي  
الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا  
بِطَاعَتِهِ".**

فعلى الإنسان أن يتحرى الحلال، ولا أقول يترك الحرام فقط، بل يترك الشبهات، فإن فعل فهو للحرام  
أترك،

كما جاء في الحديث: **"فَمَنْ تَرَكَ مَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتَرَكَ".**

أخرج البخاري ومسلم عن أبي عبد الله النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **"إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَابْنَيْنِ وَالْحَرَامَ بَيْنَ وَابْنَيْنِ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ  
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ  
وَقَعَ فِي الْحَرَامِ".**

#### ٤٠ - شهادة الزور وكتمان شهادة الحق:

فالإسلام حرّم شهادة الزور وجعلها من أكبر الكبائر،

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة -رضي الله عنهما- عن أبيه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً - قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت."

فمن شهد بغير علم فقد وقع في ذنب عظيم، وارتكب إثماً كبيراً، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال محمد ابن الحنفية: "يعني شهادة الزور".

فعلى الإنسان ألا يشهد إلا بما علم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ [يوسف: ٨١]

ومن شهد بما لا يعلم فقد أضرع الحقوق، ونصر الظالم، أو ظلم بريئاً، لذا استحق أن يكون من أكبر الكبائر.

أما بالنسبة لكتمان شهادة الحق، فهذا أيضاً من الأمور التي نهى عنها رب العالمين،

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَكْمُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْمُمْهَا فَإِنَّهُ أِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]

• وقد جعل النبي ﷺ شهادة الزور وكتمان شهادة الحق من علامات الساعة،

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ، وَفُشْوُ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطْعُ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورُ الْقَلَمِ".

(قال أحمد شاكر: صحيح، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط).

## ٤١- كثرة الكذب وإشاعته:

الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وإن الله سبحانه ما أنعم على عبدٍ بنعمة - بعد الإسلام - أفضل من نعمة الصدق، وما ابتلاه ببليّة أعظم من الكذب، الذي هو بريد الكفر والنفاق، ولذلك رَغِبَ النبي ﷺ في الصدق، ورَهَّبَ من الكذب.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر<sup>(١)</sup>، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق<sup>(٢)</sup> ويتحرى الصدق، حتى يُكتبَ عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كذاباً ".

• ويبيّن النبي ﷺ أن الكذب وكثرته وانتشاره في آخر الزمان علامة من علامات الساعة.

- أخرج الإمام مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنْاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَاكُمْ وَيَأْيَاهُمْ ".

- وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" يكون في آخر الزمان دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَاكُمْ وَيَأْيَاهُمْ لَا يَضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتَنُونَكُمْ ".

- وعند مسلم أيضاً من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إن بين يدي الساعة كَذَّابِينَ " قال جابر: "فاحذروهم".

وما أكثر الكذب في هذه الأيام، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول، أو في وسائل الإعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة، وما أكثر من نقل الأخبار دون تثبُّت، وهو أحد أنواع الكذب، وهذا كله من علامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ " . (الصحيح: ٢٧٧٢).

١- البر: بكسر الباء، والمقصود به: الطاعة.

٢- يصدق: أي يتكرر منه الصدق.

## ٤٢- كثرة الشح والبخل:

الشح: أشد من البخل؛ لأنه حرص، وهو كل ما يمنع النفس من بذل مالٍ أو معروف أو طاعة، والشح مرض نفسي يفتك بالمجتمع الإسلامي؛ لأن الشحيح يظل دائماً يطلب المزيد، ولا يكتفي بما معه، وهذا يحمله على انتهاك الحرمات، بل ربما إلى القتل، فالشح سبب للهلاك والضياع.

وقد حذر منه النبي ﷺ أمته فقال: **" اتقوا الشح "**.

والحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **" اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم "**.

وقد بين النبي ﷺ أن الشح والبخل من علامات الساعة.

فقد أخرج الطبراني في "الأوسط" والحاكم في "المستدرک" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ، وَيَهْلِكُ الْوَعُولُ، وَيَظْهَرُ التُّحُوتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَعُولُ وَمَا التُّحُوتُ؟ قَالَ: الْوَعُولُ: وَجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتُّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ "**. (السلسلة الصحيحة: ٣٢١١).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **" يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ "**.

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **" من أشرط الساعة أن يظهر الشح "**. وها قد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، وظهر الشح في أوضح صورته، حتى أنك تجد الرجل يبخل على امرأته وأولاده، ولا يخرج حق الله في ماله، وهذا إن دل فإنما يدل على قلة الإيمان.

فقد أخبر الحبيب العدنان رضي الله عنه كما في "مسند الإمام أحمد" والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **"... ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والشح" - وفي رواية: "لا يجتمع شح وإيمان في**

**قلب رجل مسلم "**. (صححه الألباني في "صحيح النسائي" و"الأدب المفرد").

فالفلاح والنجاح في أن يَسْلَمَ المرء من الشح.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] [التغابن: ١٦] فلاح في الدنيا وفي الآخرة.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥ - ٧]

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ أي: أعطى ما أمر

بإخراجه، واتَّقَى الله في أموره، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾: أي بالمجازاة على ذلك، وقيل: بـ(لا إله إلا الله)،

وقيل: بما أنعم الله عليه، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾: يعني للخير، وقيل: للجنة.

يكفيك أخي الحبيب أن تعلم أن من أمسك دَعَتْ عليه الملائكة، ومن أنفق دَعَتْ له الملائكة

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

" ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً،  
ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً ."

أضف إلى هذا أخي الحبيب أن المنفق سينفق الله عليه، وإذا أنفق الكريم عليه، فكيف سيكون مقدار  
الإنفاق؟!

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى:  
" يا ابن آدم أنفقْ أنفقْ عليك ."

وغير هذا من فضائل الإنفاق، والذي لا يتسع المجال هنا لذكرها

وهذا كله يجعلك تفهم كلام النبي ﷺ عندما قال: " لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ  
الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ  
النَّهَارِ ."



### ٤٣ - ظهور قطيعة الرحم:

ظهرت قطيعة الرحم في أجلى صورها في هذا الزمان، فتجد أن الأقرباء لا يعرف أحدهم عن الآخر شيئاً، بل قد لا يعرف أحدهم قريبه، هل هو من الأموات، أم من الأحياء؟ ولا أبالغ إن قلت: "إن القطيعة وصلت إلى درجة عالية، حتى وصلت بين الأبناء والآباء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه علامة من علامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
" إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: التَّسْلِيمُ عَلَى الْخَاصَّةِ، وَفُشْوُ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَفُشْوُ الْقَلَمِ، وظهور شهادة الزور، وَكَيْفَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ ".

وعند الطبراني في "الأوسط" من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
" من أشرط الساعة: الفحش والتفحش وقطيعة الرحم ".

ولو لم يكن في قطيعة الرحم إلا أن الله ﻻ يقطع من قطعها لكفى بهذا ذمًا للقاطع،  
فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فهو لك، قال رسول الله ﷺ: "فافرقوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَتْهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣]

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

"أخبر تعالى أن من فعل ذلك حَقَّتْ عليه اللعنة، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره حتى لا ينقاد للحق، وإن سمعه وإن رآه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل".

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "الرحم معلقة بالعرش تقول: مَنْ وصلني وصله الله، وَمَنْ قطعني <sup>(١)</sup> قطعه الله ".

١ - والقطع هنا بمعنى الحرمان من الإحسان. (انظر فتح الباري في شرح الحديث).

بل يعلنها النبي ﷺ فيقول: كما في "صحيح البخاري": **" لا يدخل الجنة قاطع رحم "**.

**أحبتي في الله...** إن صلة الأرحام شعار أهل الإيمان، كما أخبر بذلك الحبيب العدنان ﷺ  
فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ "**.

أضف إلى ذلك أن صلة الأرحام تزيد في الرزق وتبارك في العمر كما في  
"الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **" مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ  
فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ "**.

#### ٤٤- ظهور الفحش والتفاحش وسوء المجاورة:

- الفحش: كل ما يُشَتَّد قبحه من الذنوب والمعاصي قولاً أو فعلاً.

- التفاحش: هو تبادل الفحش أو إظهاره.

وظهور الفحش وانتشاره علامة من علامات الساعة.

وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط" والحاكم في "المستدرک" عن أبي  
هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

**" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ... "** الحديث.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم في "المستدرک" عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-  
عن النبي ﷺ قال: **" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ  
الْمُجَاوَرَةِ "**. (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح)

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

**" إن من أشراط الساعة الفحش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأيمن، وائتمان الخائن "**.

(رمز السيوطي لحسنه)

وقد وقع كل ذلك، فانتشرت المعاصي في بلاد المسلمين بصورة لم تخطر على قلب بشر، وانتشر  
الفحش مع بذاءة اللسان بين الناس، وقُطِعَت الأرحام حتى بين الأبناء والآباء، وأما سوء الجوار فحدثت  
ولا حرج، فأصبح اللسان عاجزاً عن وصف سوء الجوار الذي يحدث بين الناس في تلك الأيام، حتى  
وصل الأمر إلى أن الجار لا يعرف جاره.

## تنبيه:

كثرة الذنوب سبب لهلاك الناس.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح عن أبي البختري الطائي، قال: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ".  
قال الخطابي: "فسره أبو عبيدة فقال: "يعذروا: أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم".

## • دعوة من القلب

على المسلم الذي تلبس بهذا المرض اللعين، الفحش وبذاءة اللسان، أن يعود إلى أخلاق الإسلام الحميدة، فالمسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ  
فقد أخرج أبو داود وغيره بسند صحيح من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَدْرِكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ". (صحيح الجامع: ١٩٣٢)

كما أن حُسن الخُلُق يثقل الميزان، كما أخبر بذلك الحبيب العدنان ﷺ  
ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلُق، وإنَّ الله يَبْغُضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ" (صحيح الجامع: ٥٦٣٢)، (الصحيحة: ٨٧٦)

وفي رواية عند أحمد وابن حبان: "إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ". (الصحيحة: ٨٧٦)

كما إن صاحب الخُلُق الحسن يكون في جنة النعيم مع النبي الأمين ﷺ  
كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن جابر ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مَنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا".  
فعلينا بحسن الخلق حتى نكون في هذه المكانة العالية، وعلينا كذلك أن نبتعد عن سوء الخلق، والفحش والتفحش، أسوةً بالحبيب النبي ﷺ.

ففي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه قال: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبباً".

- وفي رواية: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً".

فعلينا أن نقتدي به عملاً بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]

## ٤٥- ظهور النساء الكاسيات العاريات

فانتشار التبرج والسفور علامة من علامات الساعة، حيث ظهرت هذه العلامة بوضوح في هذا الزمان، فخرجت النساء إلى الشوارع والطرقات بملابس عارية تُظهر مفاتنهنَّ.

**فقد أخرج الطبراني في المعجم الصغير أن النبي ﷺ قال: "سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رعوسهن كأسنمة البخت، العنوهن، فإنهن ملعونات".**

**وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:**

**" صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رعوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ".**

**قال النووي -رحمه الله- "شرح مسلم" (٥/٧١٠):** "هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما

أخبر به النبي ﷺ، فأما **"أصحاب السياط"**: فهم غلمان ولي الشرطة.

أما **"الكاسيات"**: ففيه أوجه: -

**أحدها:** معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.

**والثاني:** كاسيات من الثياب، عاريات من فعل الخير، والاهتمام لآخرتهم، والاعتناء بالطاعات.

**والثالث:** تكشف شيئاً من بدنهن إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات.

**والرابع:** يلبسن ثياباً رقائقاً، تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى.

**وأما قوله: "مائلات مميلات":** فقليل: زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، و"مميلات": يُعَلَّمْنَ غيرهن مثل فعلهن.

**وقيل:** مائلات: متبخترات في مشيتهن، مميلات أكتافهن، **وقيل:** مائلات: يتمشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا معروفة لهن. مميلات: يُمشطن غيرهن تلك المشطة. **وقيل:** مائلات إلى الرجال، مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها.

**وأما قوله: "رعوسهن كأسنمة البخت"**: فمعناه: يعظمن رؤسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يُلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره.

**قال المازري:** ويجوز أن يكون معناه: يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عينهن، ولا يُنكسن رعوسهن.

**واختار القاضي:** أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء، **قال:** وهي صفائر الغدائر، وشدها إلى فوق، وجمعها في وسط الرأس، فتصير كأسنمة البخت، **قال:** وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت: إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رعوسهن وجمع عقائصها هناك، وتكثرها بما يصفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام.

**قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة"** يتأول التأويلين السابقين في نظائره:

**أحدهما:** أنه محمول على مَنْ استحلَّت حراماً من ذلك مع علمها بتحريمه، فتكون كافرة مخلدة في النار، لا تدخل الجنة أبداً.

**والثاني:** يُحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر مع الفائزين، والله تعالى أعلم. والإنسان منا لا يتصور كيف تسمع المرأة المسلمة هذا الكلام، ثم تصر على خلعه الحجاب، وخروجها سافرة متبرجة. أفما آن للنساء أن يرجعن إلى الله، ويُعلن التوبة النصوح حتى لا يَدْخُلْنَ في هذا الحديث وتحت هذا الوعيد.

#### ٤٦- ظهور الرواحل الجديدة..... كالسيارات مثلاً:

لقد عدَّ بعض أهل العلم أن ظهور مثل هذه السيارات - وغيرها من المركوبات - دلالة على قرب انتهاء الزمان، **وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن حبان في "صحيحه" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:**

**" سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ "** (وضعف بعض أهل العلم هذا الحديث، وصححه الألباني في الصحيحة)

وهذا قد وقع، فترى أحدهم يضع السيارة عند باب المسجد ويدخل المسجد فيصلي، وزوجته داخل السيارة كاسية عارية.

**وقوله: "كأشباه الرجال"** (بالحاء المهملة) جمع: رجل، وفيه إشارة إلى أنها مركوبات جديدة، لم يرها النبي ﷺ، وقد يكون المراد أنها السيارات - والله أعلم. (نهاية العالم للعريفي: ص ١٣١)

وقد نوه القرآن عن مثل هذا، فقال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[النحل: ٨]

**قال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلُمُونَ﴾:**

"أي أنه سبحانه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأبهم ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول، ولم يصرح هنا بشيء منه، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتتان بالمركوبات تدلّ على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شُهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات والقطارات والسيارات.

**ويؤيد ذلك إشارة النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والله لينزلن ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَذْلًا؛ فليكسرن الصَّلِيبَ، وليقتلن الخَنْزِيرَ، وليضعن الجِزْيَةَ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد."**

**ومحل الشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: "ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها"**، فإنه قسم من النبي ﷺ أنه سترك الإبل فلا يسعى عليها، وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة. وفي هذا الحديث معجزة عظيمة، تدل على صحة نبوته ﷺ، وإن كانت معجزاته - صلوات الله عليه وسلامه - أكثر من أن تُحصَر. اهـ..

## **٤٧- كثرة السمن في الناس، وظهور قوم يشهدون ولا يستشهدون**

**فقد أخرج البخاري ومسلم عن عمران بن حصين ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:**

**"خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَهُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذَرُونَ وَلَا يَوْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ".** (متفق عليه).

ففي آخر الزمان يظهر أناس - من أوصافهم - أنهم يشهدون ولا يستشهدون، وهذان الوصفان من التساهل بالشهادة على الآخرين بغير علم ولا طلب، وكثرة النذر مع عدم الوفاء به، وهذا إن دلّ فإنما يدل على رقة في الدين، وضعف في الإيمان، أما بالنسبة لكثرة السمن الذي يظهر في آخر الزمان، فلعله بسبب انتشار الترف وكثرة وتنوع الطعام والشراب، وقلة حركة الناس بسبب التقدم العلمي، وبسبب الأجهزة الحديثة التي تخدم الإنسان في حياته المعيشية، وقد ذكرت الإحصاءات أن ٦/١ (سدس) سكان العالم يعانون من زيادة الوزن.

## ٤٨- رفع العلم وقلته، وظهور الجهل وكثرته:

وقد بيّن النبي ﷺ أن قبض العلم ورفعه، وظهور الجهل وانتشاره بين الناس علامة من علامات الساعة. فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

" لا تقوم الساعة... حتى يُقبض العلم...". الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

" إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم...". الحديث

- وفي رواية لهما: " أن يُرفع العلم ويثبت الجهل. أو قال: يظهر الجهل ".

والمراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة وما يتفرع عنهما، وهو الموروث عن الأنبياء - عليهم السلام - وبخاصة رسول الله ﷺ، وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قلّ العلم وكثر الجهل بصورة عامة.

وقد مرّ بنا في الحديث الذي أخرجه النسائي بسند صحيح عن عمرو بن تغلب ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر الجهل، ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا. حتى أستاذم تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد ".

- وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَزَجُ ". وَالْهَزَجُ الْقَتْلُ. (أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي)

- وفي رواية أخرى عند الشيخين أيضاً: " إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ - وعند أحمد بلفظ: " ويفشو فيها الجهل -"

- وأخرج البخاري ومسلم كذلك عن أنس ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل. ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقي النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد ".

- وعند البخاري: " القيم الواحد ". (أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه).

- وفي رواية: " إن من أشراط الساعة أن يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ<sup>(١)</sup>، وَتَشْرَبَ الْخَمْرُ<sup>(٢)</sup>،

وَيَظْهَرَ الزَّانَا<sup>(٣)</sup> ". (رواه الشيخان عن أنس ؓ)

١- يثبت الجهل: أي ينتشر الجهل ويظهر، وسببه قبض العلماء.

٢- تشرب الخمر: أي يكثر شرب الخمر.

٣- ويظهر الزنا: قال الحافظ في "الفتح" (١١٥/١٢): أي يشيع ويشتهر بحيث لا يتكتم به، لكثرة من يتعاطاه.



## تنبيهات وفوائد:

١ - المراد بقول النبي ﷺ:

" إن من أشراط الساعة: أن يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُثْبِتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزَّنا." هو استحكام ذلك وانتشاره بكثرة، حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر.

٢ - المقصود بالجهل هنا: هو الجهل بأمور الدين، ويدل على ذلك ما جاء عند الطبراني:

" يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُدْرِي فِيهِ مَا صَلَاةٌ؟ مَا صِيَامٌ؟ مَا صَدَقَةٌ؟".

- وأخرج ابن ماجه والحاكم عن حذيفة بن اليمان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

" يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدْرِي ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب الله ﷻ في ليلة لا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير العجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله" فنحن نقولها، فقال له صله: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صياماً ولا صدقة ولا نسكاً؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صله، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار - قالها ثلاثة - ".

(صحيح الجامع: ٨٠٧٧)، (صحيح ابن ماجه: ٣٢٧٣)، (السلسلة الصحيحة: ٨٧)

ولقد ذمَّ النبي ﷺ الجاهل بدينه، العالم بأمر الدنيا، ويبيِّن أن الله تعالى يبغضه، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في "صحيحه" أن رسول الله ﷺ قال:

" إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْفَرِيٍّ <sup>(١)</sup> جَوَاطِ <sup>(٢)</sup> صَخَابٍ <sup>(٣)</sup> فِي الْأَسْوَاقِ، جِيْفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ <sup>(٤)</sup> ".

والمتمثل في حال الناس اليوم يجد أن كثيراً منهم يهتم بأمور الدنيا، عالم بها وبشئونها، ولكن في أمور الآخرة فهو أجهل ما يكون، وهذا كله نتيجة طبيعية بسبب الاشتغال بالمعاش، وهجر مجالس العلم والعلماء.

١- جَعْفَرِيٌّ: أي الغليظ في طبعه.

٢- جَوَاطِ: هو الضخم المختال في مشيته، وقيل هو الأكل.

٣- صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ: يرفع صوته في الأسواق.

٤- وهذا الحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في موضع، وسكت عنه في موضع آخر، وقوى الحافظ ابن حجر إسناده هذا الحديث في أكثر من موضع من فتح الباري، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم: ٨٧، وقال بعض أهل العلم: "فهذا الحديث وإن كان رواه ثقات، إلا أن في إسناده - محمد بن حازم أبو معاوية الضرير - وهو وإن خرج له الشيخان، إلا أنه كان مرجئاً، ومن المعروف عند علماء المصطلح أن المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته يتوقف في أمره. والله أعلم.



٣ - المقصود برفع العلم أو قبضه: إنما يكون بموت حَمَلَتِهِ، كما صرَّح بذلك النبي ﷺ  
فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال:  
سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض  
العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير  
علم فضلوا وأضلوا".

وفي رواية البخاري: "إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع  
قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهالٌ، يُستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون".

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: "لما كان في حجة الوداع، قام رسول  
الله ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم، فقال: يا أيها الناس، خذوا من  
العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع العلم، وقد كان أنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ  
أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]،  
قال: فكنا نذكرها كثيراً من مسألتها، واتقينا ذاك حين أنزل الله ﷻ ذلك على نبيه ﷺ. قال:  
فأتينا أعرابياً فرشونا برداء. قال: فاعتم به، حتى رأيت حاشية البرد خارجة من حاجبه  
الأيمن. قال: ثم قلنا له: سل النبي ﷺ؟ قال: فقال له: يا نبي الله، كيف يرفع العلم منا  
وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلَّمنا ما فيها، وعلمناها نساءنا وذرائعنا وخدمنا؟ قال: فرفع  
النبي ﷺ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب. قال: فقال: أي ثكلتك أمك، هذه اليهود  
والنصارى بين أظهرهم المصاحف؛ لم يصبحوا يتعلقوا منها بحرف مما جاءتهم به  
أنبياءهم، ألا وإن ذهاب العلم: أن يذهب حملته - قالها ثلاث مراراً -".

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال:

"خذوا العلم قبل أن ينفذ ثلاثاً، قالوا: يا رسول الله وكيف ينفذ وفيما كتاب الله، فغضب، ثم  
قال: ثكلتكم أمهاتكم، ألم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل ثم لم يُغن عنهم شيئاً؟ إن  
ذهاب العلم ذهاب حملته " - قالها ثلاثاً -.

وأخرج الترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَشَخَّصَ بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا، وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ؟ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَهُ وَلَنَقْرَأَهُ نِسَاوُنَا وَأَبْنَاوُنَا، فَقَالَ: " ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتَ لِأَعْدُكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟ قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِنْ شِئْتَ لِأَحَدَتِكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الْخُشُوعُ يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا " .

### وقفة:

وفي قول النبي ﷺ في الحديث الذي مر بنا: " حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رعوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا"، يدل على أمر مهم ينبغي أن يُتنبَّه له، وهو أن مَنْ أفتى بغير علم يَأْثُم، ولكن المفتي إن كان من أهل العلم وممَّن اجتمعت فيه شرائط الفتيا، وبذل وَسْعَهُ للوصول إلى الحق، ثم أفتى بما غلب على ظنه أنه الحق بمقتضي الأدلة، فأخطأ، فلا إثم عليه في الخطأ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

[الأحزاب: ٥]

ولدخوله تحت قول النبي ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد". (أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه).

أما إذا أفتى مَنْ ليس بأهل للفتيا فأخطأ، أو كان أهلاً ولم يبذل جهده لإحقاق الحق فأخطأ؛ فإنه لا يكون معذوراً بذلك، ويكون آثماً لأنه أضلَّ عن سبيل الله، وقد قال تعالى:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بغيرِ عِلْمٍ أَلْسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]

(انظر الفتيا ومناهج الإفتاء: ص ١٣٤ - ١٣٦)

وقد مرّ بنا في حديث الباب: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رعوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا". (رواه البخاري).

قال ابن المنذر -رحمه الله-: "وإنما يُؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالماً بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالماً فلا. اهـ.

واستدل بحديث: "القضاة ثلاثة، وفيه... وقاضٍ قضى بغير حق فهو في النار، وقاضٍ قضى وهو لا يعلم، فهو في النار".

وقال الخطابي -رحمه الله- في "معالم السنن":

"إنما يُؤجر المجتهد إذا كان جامعاً لآلة الاجتهاد، فهو الذي يُعذر بالخطأ، بخلاف المتكلف، فيُخاف عليه. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في "فتح الباري" (٣١٨/١٣):

" لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يَأثم بذلك، بل إذا بذل وسعه أُجر، فإن أصاب ضُوعف أجره، لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم". اهـ.

## ٤٩- التماس العلم عند الأصغر:

نشط كثير من الشباب لطلب العلم والدعوة، وهذا أمرٌ جميل وتحتاجه الأمة خصوصاً هذا الزمان، لكن غلب على بعضهم الحماسة واستعجال قطف الثمار، فتصدّر للإفتاء والتعليم، فسئُلُوا، فأفتُوا بغير علم، بل برأيهم، أنفةً منهم واستكباراً عن أن يقولوا: "لا نعلم"، ساعد على هذا الأمر بروزهم في القنوات الفضائية، فاغترَّ الناس بهم، أضف إلى هذا: حصول بعضهم على شهادات وألقاب علمية، والتي تمنحها كثير من المؤسسات العلمية لخريجيها.

وإذا كان الأمر كذلك، وتصدّر للتعليم والإفتاء الأصاغِرُ، انتشر الفساد وعمَّ البلاء، وهذه علامة من علامات الساعة.

أخرج الطبراني في "الكبير والأوسط" عن أبي أمية الجُمحي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ :

**"إن من أشرار الساعة - وفي رواية: ثلاثاً: إحداهن - أن يُلتمس العلم عند الأصاغِر".**

(صحيح الجامع: ٢٢٠٧)، (الصحيحة: ٦٩٥)

وأورد المعلق على "كتاب الزهد" لعبد الله بن المبارك وفيها: **"قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغِر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما الصغير الذي يروي عن كبير فليس بصغير".**

وقال الحافظ في "فتح الباري" (٣٠١/١) وفي "مصنف قاسم بن أصبغ" بسند حسن عن عمر: "فساد الدين: إذا جاء العلم من قِبَل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس: إذا جاء العلم من قِبَل الكبير تابعه عليه الصغير" وذكر أبو عبيد: أن المراد بالصغير في هذا: صغر القدر لا السن، والله أعلم.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **"لا يزال الناس صالحين متماسكين ما اتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ، ومن أكابرهم، فإذا اتاهم من أصاغِرهم هلكوا".**

وجاء في "كتاب جامع بيان العلم" رقم: ٢٤١٠، (ص ١٢٢٥) عن مالك - رحمه الله - قال: **"أخبرني رجل: أنه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن، فوجده يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ وارتاع لبكائه، فقال: لا، ولكن استفني من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم، قال ربيعة: ولَبعض من يُفتي ها هنا أحق بالحبس من السراق".**

## ٥- ذهاب أهل الخير والدين:

وذهب أهل الخير والدين علامة من علامات الساعة

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ <sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ <sup>(٢)</sup>، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا " . (قال أحمد شاكر -رحمه الله-: إسناده صحيح)

وإذا قبض الله أهل العلم والصلاح والخير والدين، لم يبقَ إلا أراذل القوم، فإذا كان العلم فيهم فإنه لا يؤمر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر.

كما جاء عن ابن ماجه عن أنس بن مالك ﷺ قال:

"قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: الْمُلْكُ فِي صَغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ <sup>(٣)</sup>، وَالْعِلْمُ فِي رُدَالَتِكُمْ <sup>(٤)</sup>."

أخرج البخاري: عَنْ مِرْدَاسٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَأَلَّوْلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ <sup>(٥)</sup>، كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بِأَلَةٍ <sup>(٦)</sup> ". قال أبو عبد الله: يُقال: "حُفَالَةٌ" و "حُثَالَةٌ"

وقد أخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغْرِبُونَ فِيهِ غَرْبَلَةٌ، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ <sup>(٧)</sup> قَدْ مَرَجَتْ <sup>(٨)</sup> عُھُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ " . (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح)

١- يَأْخُذُ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ: أي يأخذ أهل الخير والدين.

٢- عَجَاجَةٌ: هم الأراذل من الذين لا خير فيهم.

٣- وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ: أي أن الفاحشة لا تقتصر على الصغار، بل تنفشي حتى تصل إلى الكبار وتذب فيهم، والمراد بالفاحشة: الزنا. والله أعلم

٤- قَالَ رَزِيدٌ: "وَالْعِلْمُ فِي رُدَالَتِكُمْ": أي: إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَاقِ.

٥- قال الحافظ في "الفتح" (٢٥٢/١١): "وقال الخطابي: "الحفالة" (بالفاء وبالمثلثة): الردئ من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه. وقال ابن التين: الحثالة: سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير... وغيرهما. وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل". وقال

الحافظ -رحمه الله- في "الفتح": وقد وجدت لهذا الحديث شاهداً من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ:

"تذهبون، الخير فالخير، حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثة التمر، ينزو بعضهم على بعض نزو المعز".

٦- في رواية البخاري الموقوفة: "لا يعبا الله بهم شيئاً"، وهي كقوله ﷺ في حديث عياض بن حمار المجاشعي: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم" والله أعلم. وفي هذا الحديث دليل أن موت الصالحين من أشراط الساعة. وهذا واضح لا يخفى.

٧- حُثَالَةٌ: الردئ من الشيء. كما مر بنا

٨- مَرَجَتْ: اختلطت.

## ٥- كثرة القول وترك العمل:

أخرج الحاكم والطبراني وابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "أَلَا إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ، وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ".

وأخرج البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَزَجُ".

وفي زماننا هذا تكثر الكتب ويكثر الكلام، لكن يقل العمل، بخلاف ما كان عليه الجيل الأول الفريد، حيث كان كلامهم قليلاً، وعملهم كثيراً، ولنضرب لذلك مثلاً:

ففي "صحيح مسلم" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ أَصْحَابَهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَيَقُولُ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ".

**فانظر - رحمك الله -** ... إلى كمَّ العمل الذي فُعلَ في بداية اليوم، لتعلم كيف كان يومه عامراً بالأعمال الصالحة، وهما هو أبو مسلم الخولاني يقول: "لو رأيتُ الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد، وكذلك لو قيل لصفوان بن سليم: "الساعة غداً"، ما كان عنده مزيد عمل.

فلا بد أن نترجم أقوالنا إلى أفعال، ولقد ذمَّ الله أقواماً يقولون ما لا يفعلون.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

## ٥٢- ظهور القلم (كثرة الكتابة وانتشارها):

وكثرة الكتابة وانتشارها علامة من علامات الساعة

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوُ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورُ الْقَلَمِ ".  
(صححه أحمد شاكر والأرنؤوط).

والمراد بظهور القلم: كثرة الكتابة وانتشار الكتب... وما شابه ذلك من صحف ومجلات، ساعد على ذلك التَّقدُّم المذهل في وسائل التصوير والطباعة والنشر حتى أصبحت الكتب ميسورة لدى أغلبية الناس، ومع هذا كله تجد أن الجهل متفشي بين الناس بأمور شريعتهم ودينهم.

ويؤيد هذا ما مر بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُو الزِّنَا، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتَبْقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لْخَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمٌ وَاحِدٌ ".  
وهذه العلامة ظاهرة يراها الكل رأي العين.

## ٥٣- انتشار الكتب غير القرآن:

فمن علامات الساعة أن يزداد إقبال الناس على الكتب، فَتُشْتَرَى وتُطْبَع ويكثر تداولها، ويُجعل لها معارض، فيُفَعَّل بها ما لا يُفَعَّل في كتاب الله من الترويج والتداول.

فقد أخرج الحاكم والطبراني وابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " مِنْ أَشْرَاطِ - وفي رواية: مِنْ اقْتِرَابِ - السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ، وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، وَيُقْرَأَ بِالْقَوْمِ الْمُثَنَاءُ<sup>(١)</sup>، لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يَنْكُرُهَا، قُلْتُ: وَمَا الْمُثَنَاءُ؟ قَالَ: مَا اسْتُكْتِبَ سِوَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ ".  
وقد مر بنا أن المقصود بقول النبي ﷺ: " وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ " أي: يكثر الكلام ويقل العمل،

لكن جاء في بعض الروايات: " وَيُقْبَحُ الْقَوْلُ " وقد يكون المقصود به التباهي بالكلام، واكتساب

١- قال الألباني رحمه الله- في "السلسلة الصحيحة" (٧٧٥-٧٧٦): هذا الحديث من أعلام نبوته -رحمه الله- ، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بـ(المثناة)، وهي كل ما كُتِبَ سِوَى كِتَابِ اللَّهِ كَمَا فَسَّرَهُ الرَّوَايُ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ بِـ(الْمُثَنَاءِ) الْكُتُبُ الْمَذْهَبِيَّةُ الْمَفْرُوضَةُ عَلَى الْمُقَلِّدِينَ الَّتِي صَرَفْتَهُمْ مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَنِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ -رحمه الله- ، كَمَا هُوَ مُشَاهِدُ الْيَوْمِ مَعَ الْأَسْفَافِ مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُتَمَذِّبِينَ، وَفِيهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْحَاصِلِينَ عَلَى دَرَجَاتٍ عِلْمِيَّةٍ - دُكْتُورَاتٍ أَوْ حَتَّى دَارِسِي كَلِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ، فَإِنْ كَثُرَ مِنْهُمْ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي - يَنْدَيُّونَ بِالتَّمَذُّبِ، وَيُوجِبُونَهُ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ، فَهَذَا كَبِيرُهُمْ "أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ الْحَنْفِيُّ" يَقُولُ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: "كُلُّ آيَةٍ تَخَالَفُ مَا عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا فَهِيَ مُؤَلَّةٌ أَوْ مَنْسُوخَةٌ، وَكُلُّ حَدِيثٍ كَذَلِكَ فَهُوَ مُؤُولٌ أَوْ مَنْسُوخٌ"، ثُمَّ قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: "فَقَدْ جَعَلُوا الْمَذْهَبَ أَصْلًا، وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تَبْعًا، فَذَلِكَ هُوَ الْمُثَنَاءُ دُونَ مَا شَكَ أَوْ رَيْبَ أَحَدٍ بِتَصْرِفِهِ".

المال باللسان، وذلك عن طريق كثرة المدح والثناء بالباطل لمن لا يستحقه، أو بالحلف الكذب في البيع والشراء، أو الكذب... أو ما شابه ذلك.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: "جَاءَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى أَبِيهِ يَسْأَلُهُ حَاجَةً، فَتَكَلَّمَ بَيْنَ حَاجَتِهِ بِكَلَامٍ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ ﷺ: مَا كُنْتَ مِنْ حَاجَتِكَ أَبْعَدَ، [وَلَا كُنْتُ فِيكَ أَزْهَدَ مِنْهُ] سَمِعْتُ كَلَامَكَ هَذَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ فِيهِ الْكَلَامَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرُ الْكَلَاءَ بِأَلْسِنَتِهَا<sup>(١)</sup>".

### تنبيه وختام:

وردت بعض العلامات الصغرى، لكن الأدلة عليها ضعيفة، ومنها: -

- أن يُتَّخَذَ الْفَيْءُ دَوْلًا (يعني: يستحوذ عليه الأغنياء والرؤساء، ويتداولونه بينهم دون الفقراء)
- أن تكون الأمانة مغنماً (يعني: ستعطى الأمانة للرجل ليحفظها فيأخذها ويعتبرها غنيمة ويجدها)
- ألا تطيب نفوس الناس بإخراج زكواتهم (فتجد الرجل يدفع زكاة ماله رغماً عنه، ويعتبر هذا غرامة، ويبعد الزكاة مغرمًا)
- تعلم العلم لغير الله. - رضي الله عنها -
- طاعة الزوجة وعقوق الأم.
- إدناء الأصدقاء وإقصاء الآباء.
- رفع الصوت في المساجد.
- سيادة الفساق على القبائل.
- يكون زعيم القوم أردلهم.
- إكرام الرجل اتقاء شره.

١ - أي يدير لسانه حول أسنانه مبالغاً في إظهار بلاغته، والكلاء: هو المرعى، وخص البقر: لأنها تجمع النبات بلسانها وليس بأسنانها، وقد جاء الذم لهذا الصنف الذي يُظهر التفاسيح تبهاً على الغير، وتفاسيحاً واستعلاءً وسيلة إلى الاقتدار على تصغير عظيم، أو تعظيم حقير، أو يقصد تعجيزه، أو تزيين الباطل في صورة الحق أو عكسه، أو يقصد إجلال الحكام له ووجاهته وقبول شفاعته وهو ينشدق بلسانه كما تنشدق البقرة بلسانها.



## والأحاديث في ذلك ضعيفة:

أخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" إِذَا فَعَلْتُ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُولًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَبَسَ الْحَرِيرُ، وَاتَّخَذَتِ الْقِيَانُ<sup>(١)</sup> وَالْمَعَارِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ، أَوْ خَسَفًا أَوْ مَسْخًا "

(ضعيف في إسناده الفرج بن فضالة)

وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" إِذَا اتَّخَذَ الْفِيءُ دُولًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَتَعَلَّمَ لَغِيْرَ الدِّينِ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَأَدْنَى صَدِيقَهُ وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَظَهَرَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَسَادَ الْقَبِيلَةُ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَظَهَرَتِ الْقِيَانَاتُ وَالْمَعَارِفُ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ، وَزَلْزَلَةً وَخَسَفًا وَمَسْخًا وَقَذْفًا وَآيَاتٍ تَتَابِعُ كُنْظَامَ بَالٍ قَطَعَ سُلُوكَهُ فَتَتَابِعُ "

(ضعيف، في إسناده رميح الجذامي لا يُعْرَفُ)

وهناك حديث ثالث عند الطبراني عن عوف بن مالك، وفيه أيضًا بعض هذه العلامات، وهو ضعيف أيضًا، وفيه عبد الحميد بن إبراهيم

١ - القينة: الأمة مُغْنِيَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مُغْنِيَّةٍ، وَالْجَمْعُ: الْقِيَانُ.

### وبعد...

فهذا آخر ما تيسّر جمعه في هذه الرسالة.  
وأسأل الله - تعالى - أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.  
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخلا      جلّ من لا عيب فيه وعلا  
فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك